الأزهر

المسلمون

في آسيا الوسطى والقوقاز

الجزء الثالث

إعداد

مصطفى دسوقي كسبه

رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامي

جامعة الأزهر

رئيس التحرير

د/ علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية شهر شعبان ١٤١٤هـ

اهداءات ٢٠٠٢

أ/حسين كامل السيد بك فهمى

الاسكندرية

المسلمون

في آسيا الوسطى والقوقاز

الجزء الثالث

إعداد

مصطفى دسوقي كسبه

رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامي

جامعة الأزهر

رئيس التحرير

د. علي أحمد الخطيب

هدية مجلة الأزهر المجانية شهر شعبان ١٤١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فتقدم إدارة التحرير بمجلة الأزهر الجزء الثالث ختاماً لهذا البحث الذى تولى تصنيفه « الأستاذ مصطفى دسوقى كسبه » الذى عكف على بحوث المؤتمر العالمى : « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز . الماضى الحاضر . المستقبل » هذا المؤتمر الذى عَمِرَ ببحوث أساتذة متخصصين فيما طُرِح من محاور للدراسة ، فكان عمله يدور بين التنسيق والتصنيف فى جهد متواصل وإطار من الدَّأْبِ والتواضع ؛ لذا صدر الكتاب يحمل عبارة :

إعداد

مصطفى دسوقى كسبه

رئيس قسم الاستشارات بمركز الاقتصاد الإسلامى

ولم يحمل عبارة (مؤلف) . وتحية لهذا الجهد كتبت لنا الأستاذ الدكتورة عفاف السيد زيدان وكيلة كلية الدراسات الإنسانية ورئيس قسم اللغة الفارسية وآدابها . ومقرر هذا المؤتمر ـ كتبت تقول :

« لقد شارك الأستاذ/مصطفى دسوق كسبه بجهد مشكور ف إعداد وتنفيذ المؤتمر العالمى « المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز الماضى . الحاضر . المستقبل » الذى عقد بجامعة الأزهر فى المدة من ١١ ـ ١٣ ربيع الآخر ١٤١٤ هـ ـ ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ م ثم تطوع ولخص أبحاث هذا المؤتمر فى ثلاثة أجزاء منفصلة عن المجلة ، وقدمها إلى مجلة الأزهر ، ولم ينس أن يزيد فى فائدة القارىء فنقل إلى هذه الملخصات الحواشى والمصادر والمراجع المذكورة فى الأبحاث الأصلية كما عرض من هذه الأبحاث أيضا الجداول والإحصاءات والصور والخرائط وبهذا يكون قد أفاد القارىء إفادة تمكنه من الرجوع إلى الأبحاث الأصلية أو المصادر والمراجع المختلفة التى تحدثت فى الموضوع » .

ثم أما بعد : فإن الأستاذ مصطفى كسبه له كَسْبُ السبق فى إبراز هذا الجهد الموفق فى هذا الكتاب وقد ألحق بختام هذا الجزء ثَبَتٌ بالبحوث وأسماء السادة الأساتذة الباحثين مرتبا ترتيبا هجائيا حسب أسمائهم سائلين الله النفع والتوفيق .

مجلة الأزهر

المبحث السابع

معالم الإصلاح الاقتصادى والعقبات التى تواجهه محلياً ودولياً

هذا المبحث يتناول معالم الإصلاح الاقتصادى منذ انهيار الاتحاد السوفييتى (سابقاً)، والعقبات والمشاكل التى تواجه عمليات الاصلاح محليا ودوليا، وعدم صلاحية النظام الاقتصادى الرأسمالى ـ حاليا ـ لدول الكومنولث، هذا فضلا عن نماذج التنمية الاقتصادية المطروحة ـ حاليا ـ على دول الكومنولث، مع أهم التشريعات الاقتصادية فى بعض الجمهوريات الإسلامية.

أولا : الإصلاح الاقتصادى والعقبات التى تواجهه محليا ودوليا :

لم يكن الصراع المحتدم بين الرئيس الروسى والبرلمان صراعا حول من سيحكم روسيا كما يقال، وإنما كان يدور حول من سيملك روسيا.

إن ممتلكات الدولة قد نمت خلال سبعين عاماً من الاشتراكية، فالدستور السوفييتى ينص على أن الشعب السوفييتى يملك والحكومة المركزية تدير.

وتندرج تحت هذه الإدارة كل الثروات الهامة والأراضى والموارد الطبيعية والصناعات الحربية وأنظمة النقل والمواصلات ومحطات الكهرباء والبنوك .. الخ.

أما الحكومات المحلية فلا تدير سوى المدارس والمساكن والهياكل التحتية الاجتماعية والتعاونيات والتجارة ووسائل النقل القريب وبعض المؤسسات الثقافية .

وهكذا نجد أن آبار البترول ومعامل التكرير الموجودة فى أذربيجان ، ومصانع الأليكترونيات فى ليتوانيا لا يملكها الشعب الأذربيجانى أو الليتوانى ، وإنما يملكها كل المواطنين السوفييت وتمثلهم الوزارات المركزية فى موسكو .

ان البرنامج الإصلاحى الجذرى الذى قيل عنه برنامج الخمسمائة يوم ، والذى بشر بالتشكيل السريع لاقتصاد السوق عام ١٩٩٠ (ووافق عليه جورباتشوف ويلتسين على السواء) قد اقترح أن تتنازل الحكومة المركزية عن حقها فى ملكية الصناعات الكبرى للشعوب السوفيتية ، وتصبح المشروعات شركات مساهمة كل بحسب تخصصه ، وتوزع حصص هذه الشركات على الجمهوريات لصالح السكان .

وهذه المرحلة الأولى من الخصخصة ستعطى كل جمهورية الفرصة لتقرير المصير النهائى لحصتها من الثروة الوطنية .

وقد ساندت روسيا هذا البرنامج ، فعدد سكانها يبلغ أكثر من ١٥٠ مليون نسمة وعلى ذلك ستمتلك جزءاً كبيراً من الصناعة ، كما وافقت على هذا البرنامج ـ أيضاً ـ جمهوريات آسيا الغفيرة ذات التعداد السكانى الضخم ، على عكس أوكرانيا ودول البلطيق والقوقاز التى عارضته واعتبرت أن المصانع الموجودة فى أى جمهورية لابد أن تتبع

السلطات المحلية فى هذه الجمهورية ، وهذا هو السبب الحقيقى لرفضها توقيع معاهدة الاتحاد التى وضعها جورباتشوف(٥٠)

ثم أعاد جورباتشوف صياغة المشروع فى يوليو ١٩٩١ آخذاً فى اعتباره المصالح المحلية ، وأقترح أن تمتلك كل جمهورية الأرض والموارد الطبيعية الموجودة على أرضها . وكان هذا التطور يعتبر خطوة عملاقة أقدمت عليها السلطة المركزية ، ومع ذلك لم يرض بها المسئولون فى هذه الجمهوريات ، ثم جاءت محاولة انقلاب أغسطس ١٩٩١ التى أعقبها استيلاء الجمهوريات الخمس عشرة على جميع ممتلكات الاتحاد السوفييتى الموجودة على أراضيها مما حرم الحكومة المركزية من أى إمكانية لإدارة الاقتصاد السوفييتى .

وقامت هذه الجمهوريات بتأكيد ملكيتها الكاملة لكل ماهو موجود على أرضها حتى المنشآت غير المفيدة للسكان . وقد أدى هذا الاستيلاء على الثروات إلى كثير من التوتر على المستوى السياسى والاقتصادى ، لأنه هدم النظام الاقتصادى المتكامل للاتحاد السوفييتى ، وأثار خلافات خطيرة لاتنتهى بين روسيا وأوكرانيا .

وقد جاء تفكك الاتحاد السوفييتى وانهياره ، واستقالة جورباتشوف نتيجة منطقية لمصادرة الجمهوريات ممتلكات الاتحاد السوفييتى داخل أراضيها .

---

(50) La Russie en convulsion; B. J. Medvedev Le Mond Diplomatique Avril 1993.

وفى عام ١٩٩٢ انطلقت روسيا فى برنامج خصخصة جرىء ووجدت نفسها فى موقف متشابه .

إن يلتسين عندما سعى إلى انتزاع سلطات استثنائية من البرلمان ليعجل بعملية التحول إلى اقتصاد السوق وبيع شركات الدولة ، لم يكن يتصور أن نقل الملكية وسلطات الإدارة بعيداً عن المسئولين المحليين سيثير مثل هذه الموجة من ردود الفعل العنيفة .

وكان التصور أن عدم وجود إدارة مركزية سيكون حافزاً للشركات المحلية الموجودة فى المناطق المختلفة على إقامة تعاون مباشر مع العملاء دون المرور بالوزارات فى موسكو كما كان الحال فى الماضى .

ولكن فى غياب الإدارة المركزية خضعت الشركات والمشروعات للسيطرة المحلية . وبدأ المسئولون يستخدمون المشروعات المملوكة للدولة لخدمة مصالحهم واحتياجاتهم ، وبدأت مناطق معينة تستفيد من هذه الاوضاع .

وفى غياب السيطرة المركزية على الموارد والأسعار قام رؤساء الشركات بمنح أنفسهم والمقربين إليهم مرتبات ، لذلك لم يرحبوا على الإطلاق بانتقال إدارة هذه المصانع والشركات إلى القطاع الخاص .

إن السلطات التى حصل عليها يلتسين فى ديسمبر ١٩٩٢ قد سمحت له بأن يحكم بقرارات ، فأصدر حوالى ألف قرار يتعلق بالملكية الخاصة للأراضى ، وحل المزارع الجماعية التابعة للدولة ، وإنهاء الاحتكار وحرية التجارة ، وإجراءات الخصخصة حتى يسهل عملية الانتقال إلى اقتصاد السوق ، ونادراً ما كانت هذه القرارات تطبق .

وذلك بسبب تجاهل المسئولين المحليين التام لهذه القرارات ، وأيضاً بسبب عدم وجود السيولة النقدية اللازمة لهذا التطبيق .

وفى نفس الوقت ارتفعت معدلات التضخم بشكل رهيب وتفاقمت الأزمة الاقتصادية إلى درجة الانهيار الكامل للاقتصاد الخاص والجماعى ، وكل هذا ساعد على ظهور معارضة قوية لسياسة الإصلاح الاقتصادى .

المعارضة تضخمت وانقسمت إلى اتجاهين[٥١]

١ ــ الاتجاه الإصلاحى : ويضم الاتحاد المدنى وبعض الجماعات الصغيرة ، ومنها الاتحاد الزراعى الذى سيتحول فيما بعد إلى حزب زراعى .

٢ ــ الاتجاه الوطنى المتشدد الذى ينادى بأيديولوجية شمولية : ويضم بعض الزراعيين وجزءاً من المثقفين والطلبة ، ويضاف إليهم الشيوعيون ــ وخاصة ــ حزب العمل الشيوعى الذى رفض الانضمام إلى التنظيمات الشيوعية الأخرى لتشكيل الحزب الشيوعى لروسيا ذى الميول الجورباتشوفية .

والجناح الإصلاحى فى مجلس نواب الشعب يعكس فى مواقفه احباط كثير من القوى الحيوية فى البلاد ويعبر عن مطالبه كما يلى :

ا ــ وقف تدمير النسيج الاقتصادى للبلاد ، ووقف تدهور القوة الإنتاجية والشرائية ، ووضع حد لعملية نهب البلاد على يد المافيا

(51) La Rassie en convulsion, B. Fredrerick, Le Monde Diplomatique Avril, 1993.

ورجال الأعمال الذين يستفيدون قانونـاً من الأوضاع الحالية ، والتصدى لتكديس الثروات وتهريبها إلى الخارج حيث بلغت رءوس الأموال التى تهرب إلى الخارج حوالى ١٠ مليارات دولار سنوياً .

ب ـ تدعيم العلاقات الاقتصادية داخل روسيا ودول الاتحاد السوفيتى السابق للسيطرة على عملية التحول تجاه السوق ، وتطوير سياسة اشتراكية تهدف إلى حماية الطبقة الفقيرة المطحونة من صدمة هذا التحول .

لقد اعتاد المواطن الروسى أن يعيش على موارده من العمل ، أما اليوم فلم يعد الأمر كذلك ؛ لهذا نشهد تضاؤل الثقة فى السياسة المحلية وتصاعد التيار المتشدد .

إن عام ١٩٩٢ قد اتسم باضطراب اقتصادى خطير فى روسيا ، حيث تقلص الدخل القومى بنسبة ٦٥٪ عن مستوى ١٩٨٩ ، وارتفعت أسعار السلع الاستهلاكية ٢٥ ضعفا فى حين لم يرتفع الدخل إلا بنسبة ٧,٤٪ فقط ، وبلغ التضخم حداً مفزعاً ، وتدهور سعر صرف الروبل تدهوراً مخيفاً من ١,٦ مقابل الدولار فى يناير ١٩٩٢ إلى ١٠٠ فى ديسمبر ١٩٩٢ كما انخفض الناتج بنسبة ٣٠٪ بما فى ذلك قطاع البترول . ولعل أحد العوامل الهامة التى ساهمت فى الأزمة الاقتصادية هو قطع العلاقات الاقتصادية بين روسيا والجمهوريات الأخرى ، فقد تسبب ذلك فى خفض ٥٠٪ تقريباً من صافى صادرات روسيا ، ومن المرجح أن يستمر التدهور خلال عام ١٩٩٣ ويزداد عدد العمال العاطلين فى روسيا .

وتظهر استطلاعات الرأى التى أُجريت فى روسيا مشاعر العداء الشديد للأمريكيين ؛ فهناك اعتقاد راسخ فى نفوسهم بأن برنامج الإصلاح الاقتصادى لم يكن إلا وسيلة لهدم الدولة الروسية وانهيار الاتحاد السوفييتى بمساعدة جورباتشوف ووزير خارجيته شيفارنادزة(٥٢)

ثانيا : صور من محاولات الغرب إنقاذ الإقتصاد الروسى بشروطه :

١ ـ المساعدات المشروطه التى تقدمها الولايات المتحدة الأمريكية :

فيما يلى النتائج التى أسفرت عنها قمة فانكوفر فى إبريل ١٩٩٣(٥٣)

١ ـ الإقرار شبه الضمنى لقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لروسيا فى عملية التحديث والتطوير وانتقال روسيا من المجتمع الذى كان يتسمى « بالاشتراكية ذات الاقتصاد المركزى المخطط » إلى الاقتصاد الحر القائم على آليات السوق .

ومن اللافت للنظر أن تَوَافق لقاء قمة « فانكوفر » مع إعلان نادى باريس تأجيل دفع روسيا لمديونيتها لمدة عشرة أعوام كفترة سماح ، وكان من المفترض أن تدفع روسيا ١٧ مليار دولار كجزء من تلك

---

(52) Russia and Easterm Europe ... will the west let them fail?, John Edwin Marz Fareign Affairs. 1993

ترجمه سوسن حسين ، مجلة السياسة الدولية العدد (١١٣) ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

(٥٣) عبدالملك خليل ، الأهرام القاهرية ، ١٩٩٣/٤/١٣ .

المديونية أى أضعاف ما حصل عليه يلتسين مؤخرا من الرئيس كلينتون فى مباحثات «فانكوفر» .

٢ ـ تأسيس حلف جديد من أمريكا وروسيا لمناهضة التخلف وأدران المجتمع الشمولى المسلح بجيش النصر السوفييتى المظفر إلى مجتمع مدنى يتحرك صوب تقليص ترسانته العسكرية فى نظير مساعدة أمريكا لروسيا على احتواء سخط أو كراهية آلاف الضباط العائدين من وسط وشرق أوربا ودول رابطة الكومنولث ، وذلك بتوفير مساكن لهم تؤويهم تمهيداً لتسريح أعداد كبيرة منهم تتمشى مع عمليات التقليص والتصفية المرتقبة لعدد من القوات الصاروخية والنووية التى كانت ولاتزال تعبيراً عن الجبروت العسكرى الحربى الصناعى الروسى ـ السوفييتى سابقا .

٣ ـ الانتقال بالعلاقات من حدود التماس بين الدائرة الروسية ، والامريكية إلى مستوى التقاطع وذلك بتبادل الزيارات بالآلاف المؤلفة من مواطنى الدولتين وما يتبع ذلك من إلغاء تعقيدات السفر .

٤ ـ تتعهد روسيا بتنفيذ طلبات الرئيس «كلينتون» وطاقمه حول التصرف فى المغونة المقدمة على مستوى تخصيص جزء هام منها لأعمال القطاع الخاص غير الحكومى وضرورة أن ينال أطراف روسيا البعيدة النائية عن المركز نصيب هام منها .

٢ ـ المساعدات التى تقدمها الدول الصناعية الكبرى :

قرر مؤتمر وزراء مالية وخارجية الدول الصناعية السبع الكبرى ـ الذى انعقد فى طوكيو ـ منح روسيا صفقة مساعدات مشتركة يصل

حجمها إلى ٤٣,٤ مليار دولار فى محاولة لتعزيز موقف الرئيس الروسى بوريس يلتسين فى صراعه مع القوى المتشددة فى البرلمان وتنفيذ برنامج الاصلاح الاقتصادى الذى يسعى يلتسين لتنفيذه .

وتتضمن صفقة المساعدات الغربية الجديدة ١٥ مليار دولار لخفض أعباء الديون ، ١٣,١ مليار دولار من صندوق النقد الدولى ، ٤,٥ مليار دولار من البنك الدولى ، ويشترط لها التزام روسيا الصارم بشروط صندوق النقد الدولى .

وتعد هذه الصفقة أضخم بكثير مما كان متوقعا ، مما يؤكد مدى تزايد قلق الغرب إزاء تطورات الأحداث فى روسيا ، ومستقبلها السياسى والاقتصادى . وتزيد هذه الصفقة عن صفقة الـ ٢٤ مليار دولار التى وعد بها الغرب فى العام الماضى بـ ١٩ مليار دولار ويذكر ان روسيا لم تتسلم سوى ١٣ مليار دولار ــ من صفقة العام الماضى بسبب تعثر حركة الإصلاح ــ وسوف تمنح روسيا صفقة الـ ٣٤,٤ مليار دولار على مراحل ترتبط بتقدم روسيا على طريق الإصلاح[٥٤]

ثالثا : عدم صلاحية النموذج الاقتصادى الرأسمالى الغربى للتطبيق فى دول الكومنولث حاليا :

إن النظام الغربى لا يصلح بأى شكل من الأشكال لإنقاذ روسيا فى الوقت الحاضر ؛ لأن التركيبة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والسكانية للمجتمع الروسى مختلفة عن الحياة الغربية ، هذا فضلا عن

(٥٤) الأهرام القاهرية ، ١٦/٤/١٩٩٣

أن أمريكا على وجه الخصوص ليس لديها الخبرة الكافية فى تنمية الدول النامية ، وكل قدرات أمريكا تكمن فى أنها تقدم مساعدات للدولة النامية ، ولكنها لاتستطيع أن تعينها فى عمليات التنمية .

ويمكن حصر أهم أسباب ذلك فيما يلى[٥٥]

١ ـ عدم مرونة هيكل الاقتصاد السوفيتى ، مما يجعل آلياته وبنيته الأساسية وآليات العمل فيه غير قابلة للتحول للنظام الرأسمالى وغير قادرة على استيعاب آلياته وعلاقاته ، وذلك سوف يكلف التحول خسارة اقتصادية وتضحية اجتماعية وإرباكاً اقتصاديا .

٢ ـ رغم القدرات الاقتصادية الفائقة للغرب والتى لاتقارن بالاتحاد السوفييتى ورغم قدم ورسوخ التجربة الرأسمالية ، إلا أن الاقتصاد الغربى لازال يعانى أزمات متلاحقة وعجزاً فى الموازين التجارية وتقلبات فى الدورات الاقتصادية من كساد وتضخم ، فكيف بمن يأخذ التجربة مجرداً من الدعم والحماية والخبرة ؟!

٣ ـ الشعور النفسى للشعوب السوفيتية تجاه الغرب ، وكل ما هو غربى والذى تمت تغذيته بالإعلام والمناهج المعادية يشكل قيداً على تفاعلها مع المنهج الرأسمالى ، ويجعلها تأخذ فقط المفهوم السلبى للحرية.

٤ ـ القطاع الخاص السوفييتى لم يتشكل بعد وتنقصه روح المبادرة والابتكار ، وتنقصه القدرة المالية ، وهو يحتاج فى دعمه لاستثمار أجنبى

(٥٥) د . محمد عبده يمانى ـ مسلمو آسيا الوسطى بين محنة الحاضر وتحديات المستقبل ، مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ، المجلد الثامن ، ص ٢٧ – ٢٨ .

ورجال أعمال يعملون وفق مبادىء أخلاقية ومثل وقيم عليا لا كانتهازيين يتحينون الفرص ، وهذه هى أخلاق الرأسمال الغربى .

٥ ـ تتكفل الدولة الآن بإعاشة الملايين باقتسام نسبى للموارد المتاحة لكن النظرية الرأسمالية :

أ ـ لاتطعم من لا يعمل .

ب ـ لاتوفر فرص العمل من أجل العمل فقط بل من أجل الربح .

جـ ـ لااعتبار للمشاريع الاجتماعية غير المربحة .

لذلك سوف تزداد البطالة والبؤس ، ويحصل احباط يؤدى إلى فوضى وتدمير شاملين .

وعلينا أن نتذكر حقيقة أخرى مهمة ، وهى أن القروض الغربية لم تنهض بأى أقتصاد فى الدولة النامية ، بل زادته بلاءاً ؛ لأنها تركز على المجالات الاستهلاكية ، كما أن الاقتصاد الغربى لاتحركه الدوافع الإنسانية والسياسية ، إنما يحرص على التأكد من سلامة المناخ قبل المغامرة فيه ، ولهذا فسوف يركزون على الجمهوريات الغنية بالموارد ويزيدون حدة التناحر بين المسلمين هناك[٥٦]

ويؤكد ذلك اولجاس عمروفيتش «أكبر أدباء كازاخستان» فى حوار مع عبدالملك خليل[٥٧]

هل تهتدون بنماذج للتنمية من كوريا الجنوبية أو تركيا أو أمريكا ؟ وكيف ؟

---

(٥٦) د . محمد عبده يمانى – مرجع سابق ص ٢٨ .

(٥٧) انظر : عبدالملك خليل : حوار أجراه مع أولجاس عمرو فيتش .. أكبر أدباء كازاخستان ، الأهرام القاهرية ١٩٩٢/٣/٦ .

اهتمامنا بتنشيط الصناعات الصغيرة والمتوسطة لصناعة احتياجات الشعب ، لقد فتحت بنوك كبيرة لكن أغلبها اهتم بالمضاربة والسمسرة ونحن نريد اقتصاداً وليس اقتصاداً استهلاكيا لبضائع أجنبية ومستوردة .

من الخطأ أنهم زعموا إمكانية انتقالنا من الإقطاع إلى الاشتراكية دون المرور بمرحلة الرأسمالية ، والآن تتردد دعوى مشابهة مزاعم متشابهة تتمثل فى الانتقال إلى اقتصاد السوق دون تحقير الإنتاج وخلق صناعات ضرورية لتلبية احتياجات الشعب .

ماهو إذن طرازكم الخاص بكم ؟

طراز نابع من تقاليدنا ، لقد سبق أن طبقوا علينا نماذج سميت بالاشتراكية ولم تكن منسجمة مع تقاليدنا ، ولاتوجد لدينا نماذج أمريكية أو كورية أو تايلاندية جاهزة لنا ، وعلينا خلق النموذج الخاص بتطورنا وتنميتنا الاقتصادية ؛ لأن المجتمع الموجود حاليا فى كازاخستان مجتمع متعددا القوميات وكل قومية لها تقاليدها .

إن كارل ماركس وفريدريك أنجلز مؤسسى البنيان الشيوعى كانا غير محقين حين أقرا بناء الاشتراكية فى مجموعة من البلدان ، بينما كان لينين قائد الثورة الروسية على حق عندما شرع فى وضع بناء الاشتراكية فى بلد واحد .

ولايجوز لنا الانعزال عن العالم ، لقد فتح الزعيمان السابقان لروسيا نيكيتا خروشوف وليونيد برجينيف بلادنا ـ نسبيا ـ على العالم بعد أن

أضر الانغلاق بنا ، وجاء جورباتشوف فأطاح بذلك كله وفتح جميع الأبواب ، فطار إلى أعلى ثم هوى وسقط وتكسر .

رابعاً : نماذج التنمية الاقتصادية المطروحة حاليا على دول الكومنولث

تتراوح الاحتمالات المرجحة بين :

النموذج الكورى الجنوبى[٥٨] ـ أى إصلاح اقتصادى ليبرالى فى إطار رأسمالية غير ديمقراطية .

أو النموذج الصينى ـ أى إصلاح اقتصادى ليبرالى فى إطار اشتراكية غير ديمقراطية ولكن مع مراعاة البيئة المحلية .

وأما قيام نظام رأسمالى ديمقراطى على النمط الغربى فى غالبية الدول المستقلة فإننا نستبعده على الأقل فى الأجل القصير وحتى المتوسط بالنظر إلى طول الفترة الانتقالية لإقامته بافتراض عدم قطع طريق هذا التطور عبر ثورة شعبية أو انقلاب فاشى .

ونستبعد أيضاً إحياء النظام الاشتراكى الشمولى على النمط السوفييتى فى غالبية هذه الدول ، لأن الضرورات التى أسقطته سوف تقطع الطريق على محاولة إحيائه .

والأرجح أن اقتصاداً مختلطاً سوف يتطور فى غالبية الدول المستقلة طالما أن القفزة الرأسمالية مستحيلة ، وأن الردة إلى الاشتراكية مستحيلة بدورها .

بيد أن الخلافات حول برنامج الإصلاح الاقتصادى كانت وسوف

---

(٥٨) د . طه عبدالعليم ، مصر والكومنولث الروسى ، كراسات استراتيجية ، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام – القاهرة يناير ١٩٩٣ ، ص١٠ .

تبقى عاملاً محدداً لمستوى العلاقات وقوة الرابطة بين الدول المستقلة[٥٩]

خامساً : سياسات الإصلاح الاقتصادى فى الجمهوريات الإسلامية:

أدى انهيار الاتحاد السوفييتى فجأة وبدون مقدمات إلى عديد من المشاكل الاقتصادية تمثلت فيما يأتى :

١ ـ التبعية الاقتصادية التى فرضت على تلك الجمهوريات طوال السبعين عاماً والتى جرى بها التعامل معها باعتبارها مصدراً للمواد الخام وسوقا للمنتجات فلم يكن مسموحاً لها على رغم ثرواتها الطبيعية الهائلة من البترول والمعادن والمحاصيل الزراعية المتنوعة أن تكون لديها صناعات متكاملة تحمل بذور الاستقلال الاقتصادى .

٢ ـ عيوب النظام الاقتصادى الاشتراكى وإعمال آليات السوق ومواجهة الافتقار إلى الخبرات الاقتصادية والهياكل الإدارية التى تمكن من هذا .

٣ ـ مشكلة نقص السيولة اللازمة لإقامة البنية الأساسية اللازمة لإقامة المشروعات الإنتاجية ، وكذلك لاستيراد التكنولوجيا اللازمة لتطوير المنشآت الاقتصادية القائمة[٦٠]

ولتفادى هذه المشاكل أصدرت الجمهوريات الإسلامية قوانين اقتصادية جديدة تتجه نحو اقتصاديات السوق ، وتشجع الاستثمارات

---

(٥٩) د . طه عبدالعليم ، المرجع السابق ص١٠

(٦٠) السيد عبدالرءوف ، الجمهوريات الإسلامية المستقلة : ماض مجيد ، وحاضر قلق ، ومستقبل غامض ، مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، المجلد الثامن ص٦٦ .

الخاصة وسنتعرف على بعض ماصدر فى الجمهوريات الإسلامية من قوانين

جمهورية أذربيجان[٦١]

صدر قانون يقدم ضمانات أكيدة تكفل حماية حقوق المستثمرين الأجانب .

واستنادا إلى هذا القانون يحق لهم استثمار رءوس أموالهم داخل أذربيجان عن طريق مايلى :

(أ) المشاركة النسبية فى المؤسسات الإنتاجية .

(ب) وكذلك من خلال المؤسسات الإنتاجية التى تعود ملكيتها كليا إلى المستثمرين الأجانب .

(جـ) وعن طريق شراء الممتلكات غير المنقولة والسندات المالية .

(د) وعبر عقد الاتفاقات مع الجهات المعنوية والمواطنين الأذربيجانيين التى تنص على أشكال مغايرة للاستثمارات الأجنبية .

(هـ) يعطى القانون للمستثمرين الأجانب حق المشاركة فى تخصيص المؤسسات الإنتاجية التابعة للدولة والبلديات وكذلك المنشآت غير المنجزة .

هذا وينص القانون على ضمانات تقى المستثمرين من احتمال حدوث تغيرات فى تشريعات الجمهورية . وبعبارة أخرى إنه يضمن للمستثمر

---

(٦١) نشره المصدر ، العدد الأول ،وإبريل ١٩٩٢ ، ص٢١ ، عن صحيفة ازفستيا – العدد ٥٦ ، فى ١٩٩٢/٣/٦ .

الأجنبى تعاملاته فى غضون ١٠ سنوات حسب التشريعات التى كانت سارية أثناء قيامه باستثمار أمواله فيما إذا أدت التشريعات المقبلة على تردى ظروف الاستثمار .

كما يضمن القانون للمستثمرين حمايتهم من التأميم . فهو ينص على تعويضهم عن الخسائر التى قد تلحق بهم نتيجة توقفهم عن العمل وضمانات تكفل لهم تحويل الإيرادات إلى خارج الجمهورية وللمستثمرين أن يوظفوا أرباحهم فى نفس العملة التى يتلقون بها أرباحهم .

٢) جمهورية قيرغيزستان[٦٢]

طبقت جمهورية قيرغيزستان برنامج الإصلاح الاقتصادى بقوة وبشكل سريع حتى أن رئيس الجمهورية وصفه « بأنه الصدمة المفاجئة للاقتصاد » وهذا البرنامج له خمسة جوانب هى :

أولا : صدور قانون فى ١٩ إبرايل ١٩٩١ فى قطاع الزراعة ؛ ليحل محل القانون السابق فى عام ١٩٧٢ والذى نص على عدم بيع أو شراء أو منح أو رهن أو مقايضة الأراضى الزراعية ، وذلك لأن المواطنين فى جمهورية قيرغيزستان هم فى الأصل بدو استقروا فى هذه الأراضى منذ الثلاثينيات ، فالشعب بطبيعته لا يفضل الملكية الخاصة .

وجاء القانون الجديد فى مادته رقم ٢ ، ٨ ليعطى الحق لكل مواطن

---

(٦٢) د . سهير عبدالعال ، « الأوضاع الاقتصادية لجمهوريات قيرغزستان طاجيستان ، تركمانستان ، أوزبكستان الإسلامية » مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، المجلد السابق ، ص٣٧ .

لتوريث قطعة الأرض التى يمتلكها ، ويعطى للأجانب حق استئجار الأرض بمشروع مشترك مع المواطنين .

وقد صدر قانون آخر للتعاونيات فى ١٢ ديسمبر ١٩٩١ يسمح بإنشاء المزارع التعاونية مشاركة بين المزارعين بحد أدنى ثلاثة شركاء .

ثانيا : صدرت مجموعة من القوانين والقرارات فى عام ١٩٩١ أهمها قانون الخصخصة العامة للمشروعات فى يوليو ١٩٩١ حيث نص على ضرورة بيع أسهم المشروعات للمواطنين واشترط أن يأخذ العاملون نصيباً من الربح . وصدر قرار آخر فى ٧ أغسطس ١٩٩١ يجيز ملكية للأفراد الوطنيين والجمعيات والأجانب .

وفى أغسطس ١٩٩١ صدر قرار آخر نص على أن ما بين ٣٥٪ إلى ٤٠٪ من الأصول الثابتة مملوكة للأفراد الوطنيين وتوزع كالتالى :

٣٠٪ من الأسهم تحجز للعاملين فى الشركة التى تعرض للبيع .

٥٠٪ من الأسهم للحكومة .

٢٠٪ المتبقية تباع لشركات أخرى وطنية أو أجنبية بترخيص من الحكومة .

ثالثا : صدور قانون المشروعات بتاريخ ٦ فبراير ١٩٩٢ الذى شجع إنشاء المشروعات المشتركة مع الأجانب .

رابعاً : توقف الدول عن منح الإعانة والدعم لكثير من المشروعات مثل مشروعات تكرير السكر ، الدخان ، الكحول ... وغيرها .

خامساً : إعادة تنظيم قطاع البنوك ، حيث تم تغيير اسم بنك الدولة فى الاتحاد السوفييتى القديم إلى البنك الوطنى لجمهورية قيرغيزستان ،

ويقوم البنك الوطنى بالإشراف على السياسة الائتمانية للبنوك التجارية من خلال قرض قدره ٤٠٠ مليون دولار أمريكى مقدم من البنك الدولى وجهات أخرى . كذلك تم دمج لجنة الخطة السابقة ووزارة المالية فى وزارة الاقتصاد .

٣) جمهورية أوزبكستان(٦٣)

اتبعت جمهورية أوزبكستان سياسة حذرة بشأن الإصلاح الاقتصادى ولم تلجأ إلى سياسة «العلاج بالصدمة» بسبب عجز الميزان التجارى لجمهورية أوزبكستان لعدة أعوام ، وانخفاض مستويات الدخول للسكان خاصة فى العائلات الكبيرة المنتشرة فى الجمهورية مما قد يسبب مخاطر من عدم الاستقرار الاجتماعى ويتلخص برنامج الإصلاح الاقتصادى فى عدة إجراءات هى :

أولا : فى عام ١٩٨٩ تم توزيع مجانى للأرض المروية على أسر المزارعين ، وفى عام ١٩٩١ بيعت مزارع الدولة المحققة للخسائر إلى العاملين ، أو تحولت إلى تعاونيات بين المزارعين .

ثانيا : صدر قانون فى ١٩ نوفمبر ١٩٩١ بشأن خصخصة المشروعات يوضح القواعد القانونية التى يمكن أن تتغير إليها مشروعات الدولة ، ونوعية هذه المشروعات وحجمها وهى الصناعات الغذائية والاستهلاكية ومشروعات الخدمات وزراعة القطن والطاقة والمعادن

---

(٦٣) د . سهير حسن عبدالعال ، المرجع السابق ، ص٣٨ ،

أيضا : Ibid., P.43 .

والسكك الحديدية والنقل الجوى والدوائيات ، ولم تسمح الدولة بخصخصة الصناعات التكنولوجية الهامة .

ثالثا : تشجيع المشروعات المشتركة مع الأجانب ، بحيث يسمح للأجانب بمزاولة النشاط فى المشروعات المشتركة وليس لهم الحق فى ملكية الأرض المقام عليها المشروع .

رابعاً : إصدار قانون البنوك والنشاط البنكى فى فبراير ١٩٩١ الذى أعطى لبنك الدولة فى أوزبكستان حق الإشراف على البنوك التجارية وعددها ١٩ بنكا ، كما سمح القانون بإنشاء العديد من البنوك التجارية الأخرى .

٤) جمهورية تركمانستان[٦٤]

اتبعت جمهورية تركمانستان عدة إجراءات للتحول إلى اقتصاد السوق على النحو التالى :

أولا : ألغى قانون الأرض بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٧٤ ، وصدر قانون جديد فى ١٢ ديسمبر ١٩٩٠ الذى أقر أن «ملكية الأرض للشعب وليست للدولة» فلكل مواطن حق الانتفاع بقطعة أرض ، ويمكن للأجانب حق تأجير الأرض لمدة ٢٥ سنة . وسمح القانون الصادر فى ٢٣ إبريل ١٩٩٢ بتقسيم المزارع الجماعية ومزارع الدولة وتوزيعها على الأسر ، مع إمكانية استخدامها فى مجالات أخرى مثل

---

(٦٤) د . سهير حسن عبدالعال ، المرجع السابق ، ص٣٩ ،

أيضا : Ibid., P.46 .

إنشاء المبانى ومزاولة الحرف اليدوية ، وأعطى القانون أيضاً حق الميراث طبقاً للشريعة الإسلامية .

ثانيا : صدر قانون «التجريد والخصخصة Divestment and Privatization» فى ١٩ فبراير ١٩٩٢ الذى وضع مبادىء لعملية الخصخصة كما يلى :

● يتم أولا خصخصة المشروعات الصغيرة فى الصناعات الاستهلاكية والخدمات والبناء .

● الطاقة والماء والأرض تظل مملوكة للدولة .

● يمكن للعاملين بأغلبية الأصوات تحديد شكل تغيير المشروع الذى يعملون فيه ، وتسهيل شراء العاملين للمشروع مع حقهم فى نسبة الأرباح .

● يمكن للأجانب شراء حصص فى الشركات المبيعة مع إعطاء المواطنين المحليين الأولوية عند الشراء .

● يتم صياغة مشروع صناديق استثمار بقرار جمهورى .

ثالثا : صدر قانونان للاستثمار فى ١٩ مايو ١٩٩٢ يسمحان بالنشاط الاستثمارى لكل من المواطنين المحليين والأجانب ، ويحددان القطاعات التى تعطى لها الأولوية عند الاستثمار . كما صدر قانونان آخران فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٠ لصياغة حقوق الملكية ، لكن تم إلغاؤهما بقانونين آخرين فى ١٢ نوفمبر ١٩٩١ أكثر اكتمالاً فى مسايرة المتطلبات الحالية لسياسة الإصلاح الاقتصادى .

رابعاً : تم اعتبار بنك الدولة كوكالة تنظيمية لقطاع البنوك ومسئول عن الاستقرار النقدى والائتمان فى الدولة .

٥) جمهورية طاجيكستان[٦٥]

لم تتخذ جمهورية طاجيكستان أى إجراءات هامة أو تشريعات للتحول نحو نظام السوق حتى أغسطس ١٩٩١ ، بسبب التخوف من عدم الاستقرار الاجتماعى ، وظلت أسعار الجملة والتجزئة تحت الرقابة من الدولة فلم يظهر التضخم بصورة واضحة وإنما كان تضخماً محكوماً Repressed inflation وفى نهايةعام ١٩٩١ تجاوز الدخل العائلى الإنفاق فى الموازنة العامة بما يعادل ٢١,٥٪ من إجمالى الناتج القومى . لكن الحكومة أعادت النظر فى نظامها الضريبى مستبدلة ضريبة دورة رأس المال بضريبة القيمة المضافة (٢٨٪) وضرائب الإنتاج والأرباح بضريبة على المخزون . وفى نفس الوقت خفضت الإعانة المقدمة من اتحاد الكومنولث إلى جمهورية طاجيكستان . أمام هذه الظروف قامت الجمهورية بتخفيض الإنفاق الاستثمارى للدولة ، وموازنة الضمان الاجتماعى . كما تم إنشاء صندوق التوظيف وصندوق التقاعد وصندوق التأمين الاجتماعى بتمويل ذاتى مع فرض ضريبة على الأجور التى تمنحها هذه الصناديق . وقد ترتب على ذلك حدوث عجز خطير فى الموازنة العامة للدولة وقدره ١,١ بليون روبل فى عام ١٩٩٢ .

---

(٦٥) د . سهير حسن عبدالعال ، المرجع السابق ، ص٤٠ ،
أيضا : Ibid., P.48 .

وفى مثل هذه الظروف وضعت الدولة مجموعة من القوانين للتحول إلى اقتصاد السوق ، وإن كانت لم تنفذ بصورة جدية حتى الآن وهى :

أولا : قانون الأراضى الصادر فى ١٧ ديسمبر ١٩٧٠ استبدل بقانون آخر صادر فى ١٥ ديسمبر ١٩٩٠ حيث تحتفظ الدولة بملكية الأرض مع حق الانتفاع بتأجيرها حتى ١٠ سنوات للأجانب ، وتم إصدار قانون تنفيذى بشأن استخدام الأرض فى عام ١٩٩٢ .

ثانيا : تم وضع قوانين خاصة بأشكال الملكية ، منها قانون الملكية الصادر فى ١٢ أكتوبر ١٩٩٠ الذى تضمن السماح بإنشاء شركات مساهمة مع شخصيات اعتبارية أجنبية (المادة رقم ٣٥ من القانون) ولكن قيد الملكية بالنسبة للأشخاص الأجانب الطبيعيين (المادة رقم ٣٦ من القانون) وهناك قانون آخر صدر فى ٢٣ ديسمبر ١٩٩١ يسمح بتملك الأجانب للمشروعات بشرط الخضوع للقوانين التى يحددها التشريع الطاجيكى .

ثالثا : صدور قانون «التجريد والخصخصة» فى ٢١ فبراير ١٩٩١ وإنشاء لجنة لتحويل ملكية الدولة إلى الأشخاص فى أغسطس ١٩٩١ . إلا أن هذه اللجنة لم تقم بأى عملية فعلية لتحويل الملكية .

رابعا : تعديل نظام البنوك واعتبار البنك الوطنى لجمهورية طاجيكستان مسئولا عن السياسة النقدية فى الدولة ، ويتبعه خمسة بنوك تجارية أخرى ، وتم إنشاء عدد قليل للغاية من البنوك التجارية المستقلة . وتعتبر سلطات البنك الوطنى لطاجيكستان أقل مما هو عليه فى جمهوريات آسيا الوسطى الأخرى .

خامسا : تعاقدت الحكومة مع شركة البنكنوت الكندية فى أوتاوا لبناء مطبعة بنكنوت فى طاجيكستان بغرض إصدار عملة محلية جديدة .

وبصفة عامة يمكن القول إن برامج الإصلاح الاقتصادى فى الجمهوريات الإسلامية ترتب عليها بعض النتائج الإيجابية والسلبية ، فمن النتائج السلبية نقص المعروض من السلع وفى نفس الوقت ارتفاع أسعار السلع بصورة جنونية نتيجة لانهيار القوة الشرائية للروبل الذى مازال له دور محورى فى اقتصاديات هذه الدول ، والارتفاع فى الأجور لا يتناسب مع معدلات التضخم .

كما أن التخصيص فى ميزانية صندوق المعاشات الذى يدفع منه البدلات للأطفال وأصحاب المعاشات والطلبة وربات البيوت ، وصندوق البطالة سوف يكون له أثر كبير على تخفيض دخل كثير من العائلات إلى مستويات منخفضة جداً .

أما النتائج الإيجابية فأبرزها كان فى قطاع الزراعة حيث يتم بيع الأراضى للمواطنين .

المبحث الثامن

مستقبل التعاون الاقتصادى الإقليمى والدولى

أدركت كل الأطراف الدولية[٦٦] من الولايات المتحدة الأمريكية ، إلى روسيا وأوربا والصين وتركيا ، وإيران ، والدول العربية ، وإسرائيل أن انهيار الاتحاد السوفيتى يعنى ، تفكك قوته الاقتصادية ، وتحولها من قوة إلى مجرد إمكانات (مواد خام ـ بترول ـ مشروعات صناعية تحتاج التمويل والتطوير والصيانة والتسويق) ، فانحصرت الحركة فى هذا المجال فى أربعة محاور

○ محور المشروع الخاص ، الذى تدفعه المغامرة المحسوبة والرغبة فى تحقيق ربح سريع ، من خلال فتح سوق جديدة لمنتجاته أو الحصول على سلع ، أو خامات بأسعار بخسة بسبب انهيار العملات فى تلكم البلاد[٦٧]. وأحيانا مايكون دافع هذا الاتجاه اقتصاديا بحتا ، وأحيانا يكون وراءه محرك سياسى .

○ محور العلاقات الثنائية الدولية المخططة ، من جانب دول المجموعة

---

(٦٦) لم تتخلف اليابان عن هذا المضمار ، بيد أنها ربطت معوناتها المالية لروسيا باستعادة جزر الشمال (جزر الكوريل) التى استولى عليها الاتحاد السوفيتى فى أواخر الحرب العالمية الثانية ، لكن الولايات المتحدة الأمريكية ، لا تجد من مصلحتها إتمام هذه الصفقة ، فهى تعيق إبرامها بشتى الطرق .

(٦٧) أحيانا يتم التعامل من خلال « صفقات متكافئة » (أى بالمقايضة بسلعة مقابل سلعة) .

الاقتصادية الأوربية ، وإسرائيل والصين ، أو غير المخططة ، كعلاقات معظم الدول العربية ، التى كانت فى غالبها علاقات ذات طابع سياسى دعائى ؛ لإرضاء شعوبها معنويا ..

○ محور إقامة تجمع اقتصادى غير منطقى ، بهدف الاحتواء والهيمنة على الموارد ، وجعل الصراعات بين أعضائه تحت السيطرة .. ومن هذا القبيل : « منظمة التعاون الاقتصادى بين دول البحر الأسود » و« منظمة الدول المطلة على بحر قزوين » .

○ محور إحياء تجمع اقتصادى إسلامى قديم ، كان قد فقد قوته الدافعة ، وهو « منظمة التعاون الاقتصادى » التى تضم فى الأصل تركيا ، وإيران ، وباكستان .

ومن الجدير بالذكر ملاحظة أربعة أمور :

الأمر الأول : وهو أن الحركة الاقتصادية تتركز فى الغالب تجاه دول وسط آسيا الخمس : كازاخستان ، وأوزبكستان ، وتركمانستان ، وقرغيزيا ، وطاجيكستان ولا تعطى الاهتمام المناسب للدول الإسلامية فى القوقاز ، وأهمها أذربيجان ... فضلا عن الجمهوريات الإسلامية ذات الحكم الذاتى .

الأمر الثانى : هو أن الحركة الاقتصادية تجاه هذه الدول الإسلامية جميعا لاتزال تمر عبر موسكو ، بل إن منها مايتوقف عند موسكو اختصاراً للطريق ، أو تقليلًا للمخاطرة . وغالبا مايكون هذا بسبب

الضعف الشديد فى المعلومات المتيسرة عن الجمهوريات الإسلامية .. هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فإن روسيا لاتزال هى الدولة المحورية التى لم تنفك عرى الارتباطات الاقتصادية والمالية[٦٨] بينها وبين الدول التى استقلت حديثا بعد . ومن ناحية ثالثة فإن الأسلوب الغربى للهيمنة على النظم الإقليمية فى كل أنحاء الأرض ، هو تنصيب دولة محورية ، أو أكثر ، كى تلعب دور «الحارس» لمصالح الغرب بداخل هذا النظام الإقليمى أو ذاك .. وقد اختار الغرب روسيا لأسباب لم تعد خافية ، كى تلعب هذا الدور .. كما اختار تركيا .

الأمر الثالث : هو أنه لا توجد لدى حكومات «الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا والقوقاز» نية حقيقية لإقامة وحدة سياسية أو اتحاد اقتصادى فيما بينها ، على الرغم من توافر مقومات الوحدة بينهم جميعا .. كيف لا ؟ ، وهم حديثو عهد بوحدة انهارت ويمكن تفسير مسلكهم هذا ؛ بأنهم لم يقوموا بعد بصياغة هويتهم الجديدة الصياغة المتينة الواثقة التى تدفعهم إلى تكامل ، بل وتدفعهم إلى وحدة آمنة . وربما يرجع هذا إلى أنهم استوعبوا درس «البوسنة والهرسك» ، الذى

---

(٦٨) لا تزال كل جمهوريات «كومونولث الدول المستقلة» داخلة فى إطار ما يسمى «منطقة الروبل» بمعنى أنها تعتمد الروبل عملة لها ، أو تتخذه معيارا لتقويم عملتها ، كما فعلت قرغيزيا منذ إبريل ١٩٩٣م . وتسعى روسيا إلى إقامة نظام نقدى موحد يضم روسيا البيضاء . وأرمينيا ، وقازاخستان ، وأوزبكستان . لذا وقعت هذه الدول اتفاقا فى ٨ سبتمبر ١٩٩٣ لتنشيط التعامل بالروبل . هذا فضلا عن أن معظم الاتصالات الخارجية لجمهوريات وسط آسيا والقوقاز ، بل والاتصالات فيما بينها يتم عبر موسكو ، وقليلا ما يتم مباشرة .

يتكرر الآن بالفعل فى أذربيجان ، وربما لوجود قدر من الأنانية فى الاستئثار بالموارد والإمكانات ، فضلا عن وجود طموحات لدى بعض هذه الدول لتولى القيادة الإقليمية ، كالذى قد نلاحظه من كازاخستان وأوزبكستان .. مثل هذه الأمور من شأنها أن تغذى بينهم عوامل التباعد أكثر من دعمها لعوامل الوحدة ، خاصة مع وجود أقليات كبيرة غير إسلامية فى هذه البلدان ، ومن ناحية أخرى لأن الحدود بين هذه الجمهوريات قد رسمت بطريقة تحكمية تغذى الصراعات البينية فى وجود حالة الأنانية المذكورة[٦٩].

الأمر الرابع : هو أن أوروبا الغربية ، كمجموعة اقتصادية ، أو كدول مستقلة ، أو كمشروعات فردية ، تركز فى استثماراتها على مجالى البترول والثروة المعدنية[٧٠] وعلى فتح أسواق لمنتجاتها . وكذلك تفعل الولايات المتحدة .. فى حين تركز إسرائيل ـ فضلا عن هذا ـ على التعاون فى مجال الفضاء ، ومجال التكنولوجيا النووية ، على حين يعد هذان المجالان محظورين على الدول الإسلامية . لذا فالعرب وتركيا

---

(٦٩) أدى هذا إلى تقسيم « الأوزبك ، والقرغيز ، والقازاخ » ، بين الجمهوريات دون مراعاة لتجمعاتهم الجغرافية الواقعة ، كما تم تقسيم وادى فرغانة بين هذه الجمهوريات الثلاث ، ومن الأمثلة أن مدينة أوش Osh معظم سكانها من أوزبكستان ، وهى تابعة لقرغيزيا .

(٧٠) فمثلا تقوم مجموعة شركات توتال الفرنسية باستثمار حقول النفط ، وتقوم شركات أموكو ، وبنز أويل ، وملك درموت ، وأونوكال الأمريكية ، وشركة B P البريطانية ، وشركة ستات أويل النرويجية ، بالاستثمار فى مجال البترول .

يركزون نشاطهم فى المجال المالى[٧١] وإن كان لتركيا نشاط فى مجال البترول ، تتولاه شركة TPAO التركية ، بالتعاون مع شركة SOCAR الآذرية . كما تقوم دول مجلس التعاون الخليجى بإقامة خطوط لنقل بترول تلكم الدول الإسلامية بهدف تصديره لأوربا[٧٢] .

---

(٧١) مثل إنشاء فروع لبنك البركة ، وفروع لمشروعات مجموعة بن لادن ، وإنشاء بنك مصرى آذرى ، والبنوك التى أقامتها دول الخليج فى وسط آسيا ، ومثل قيام تركيا بالاقتراض من بنوك أمريكا وأوروبا بسعر ٥٪ وإعادة إقراض الجمهوريات الإسلامية بوسط آسيا والقوقاز بسعر ٩٪ .. ومن هذا القبيل القرض الذى منحته تركيا لأوزبكستان وقدره (٥٠٠ مليون دولار) .

(٧٢) د . فوزى طايل ، مرجع سابق ، ص٣٤٤ - ٣٤٦ .

المنظمـــات الاقتصـــادية

التى تشارك فيها جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز

١ ـ منظمة التعاون الاقتصادى (ايكو)[٧٣] :

الأهمية الجيوستراتيجية للمنظمة :

تستمد منظمة دول التعاون الاقتصادى أهميتها من كونها تغطى مساحة جغرافية تزيد عن ٣ آلاف ميل مربع من منطقة البلقان غرباً ، وحتى جبال الهمالايا عبر الحدود الصينية شرقاً ، ومن جنوب روسيا شمالًا حيث الوجود الإسلامى هناك ، والمتمثل فى تتارستان وشيشان وبشكيريا إلى الهند جنوباً ، وتشرف على خمسة بحار هى المتوسط والعربى وقزوين والأورال والبلطيق ، ويسكنها ما يقرب من ٣٠٠ مليون نسمة أى ما يزيد على ربع سكان العالم الإسلامى ، تربطهم علاقات تاريخية وحضارية عقدية وثقافية منذ مئات السنين ، كما يجمعهم تحديات ومخاطر أمنية واقتصادية متشابهه ، وقد كان للمسلمين فى هذه البقعة حضارة عريقة امتدت من المحيط الهندى جنوباً إلى مدينة موسكو التى ظلت تحت الحكم الإسلامى ٢٥٠ عاماً .

---

(٧٣) رأفت يحيى ، منظمة التعاون الاقتصادى ومستقبل الإسلام فى آسيا ، الشعب القاهرية ، ١٩٩٢/١٢/٤ .

ومنظمة التعاون الاقتصادى التى تضم ١٠ دول إسلامية اليوم كانت فى البداية مجرد منتدى للتعاون الثقافى والاقتصادى يضم تركيا وإيران وباكستان ولم يسهم فى تحقيق إنجازات كبيرة منذ تأسيسه الأول عام ١٩٦٤ ، وحتى عام ١٩٧٩ ، عندما اندلعت الثورة الإيرانية فدخلت المنظمة فى مرحلة من الجمود التام لأكثر من ست سنوات ، لكن المنظمة لم تلبث أن استعادت نشاطها من جديد ، خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة وبروز نظام عالمى أحادى القطبية ، يشكل فيه الجانب الاقتصادى أول اهتماماته بعد تراجع السباق العسكرى عقب انهيار الاتحاد السوفيتى وقد أحرزت المنظمة أول نجاح لها فى مايو ١٩٩١ عندما عقد المجلس الوزارى للدول الأعضاء اجتماعه بطهران ، وقرر إقامة بنك للتنمية والاستثمار تمويل المشاريع الخاصة بالمنظمة وقد تلا اجتماع طهران بعد أشهر اجتماع آخر فى أنقرة بتركيا ، وقد أعلنت جمهوريات آسيا الوسطى فى ذلك الوقت عن رغبتها فى الانضمام إلى المنظمة فى الوقت الذى كانت فيه أفغانستان ما تزال تحت الحكم الشيوعى ، ومع وصول المجاهدين إلى كابل أعلنت أفغانستان عن رغبتها هى الأخرى فى الانضمام إلى المنظمة ، وقد كان لقاء إسلام أباد ـ الذى جرى فى ديسمبر ١٩٩٢ ـ نقطة تحول كبيرة فى إعادة صياغة الخريطة السياسية والجغرافية والعسكرية والأمنية للمنظمة ، حيث أعلن رسمياً انضمام أفغانستان وجمهوريات آسيا الوسطى الستة .

مجالات التعاون بين دول المنظمة :

على الرغم من أن المنظمة قد قصرت مجالات التعاون بينها على الناحية

الاقتصادية ـ ربما لاعتبارات استراتيجية تقتضيها ظروف المرحلة ـ إلا أن الإمكانات الضخمة التى تملكها دول المنطقة ـ خاصة دول آسيا الوسطى البكر ـ تتيح فرصا هائلة للتعاون فى مجالات عديدة منها :

١ ـ **التعاون الاستراتيجي والعسكرى** : وهو أحد المجالات الملحة التى تشكل مطلباً جوهرياً بين مختلف دول المنطقة التى تكتنفها المخاطر والتحديات من كل جانب والقدرات النووية التى تملكها كازاخستان والتى بلغت أكثر من ١٥٠٠ رأس نووى و١٠٤ صواريخ عابرة للقارات بالإضافة إلى الأسلحة التكتيكية والاستراتيجية الأخرى مما جعلها رابعة أكبر دولة نووية فى العالم بعد أمريكا وروسيا وأوكرانيا ، هذه القدرة النووية الهائلة يمكن أن تشكل مجالا خصباً للتعاون مع دول المنظمة وتستطيع باكستان بما لديها من قدرات نووية كبيرة أن تتعاون مع كازاخستان فى استثمار مخزون اليورانيوم الضخم الذى تمتلكه طاجيكستان لتوظيفه فى الأغراض السلمية ، كما تستطيع أوزبكستان أن تلعب دورا هائلا فى تصنيع الطائرات ، ومن المعروف أن طشقند عاصمة أوزبكستان لديها واحد من أكبر مصانع الطائرات فى العالم ، إن هذا الجانب من القدرات الذى تمتلكه دول المنظمة يستطيع أن يوفر لها مظلة أمنية كبيرة تحميها من أى تهديدات خارجية .

٢ ـ **التعاون الاقتصادى** : تشكل الثروات الطبيعية التى تمتلكها دول المنطقة مجالا حيوياً كبيراً للتعاون الاقتصادى فيما بينها فكازاخستان وايران لديهما مخزون بترولى ضخم وتستطيعان تحقيق

اكتفاء ذاتى لدول المنظمة ، كما تمتلك أفغانستان واحداً من أكبر مخازن الغاز الطبيعى والنحاس فى العالم لم يتم استثمارها بعد ، وتحتفظ أوزبكستان بثروة كبيرة من الذهب الخام الذى تضطر إلى شحنه إلى روسيا لتصنيعه ونفس الشيء ينطبق على المساحات الهائلة المزروعة بالقطن ، ويمكن لباكستان بما لديها من خبرة فى مجال تصنيع الأقطان أن تسهم فى إقامة صناعات ضخمة للأقطان فى المنطقة . وتنتشر فى جمهوريات تركمانستان وقرغيزيا وأذربيجان ثروات معدنية يمكن لتركيا وإيران أن تلعب دوراً كبيراً فى تصنيعها .

وتستطيع المنافذ البحرية التى أتاحتها المنظمة لدول آسيا الوسطى وأفغانستان المغلقة أن تجد طرقا بحرية للانطلاق نحو الأسواق العالمية لتصريف منتجاتها . فأفغانستان تستطيع الوصول إلى المحيط الهندى عبر كراتشى فى باكستان كما تستطيع دول أخرى الوصول إلى البحر المتوسط عبر تركيا ، لقد أدركت المنظمة حجم التعاون الذى يمكن أن يتحقق فيما بين أعضائها فطرحت عددا من المشاريع الطموحة من بينها إنشاء سوق مشتركة بين دول المنظمة ، وإقامة خط جوى خاص بالمنظمة ، وتخفيض التعريفة الجمركية على حركة التجارة بين دولها ، وهذا من شأنه إذا دخل حيز التنفيذ أن يسهم فى تنشيط العملية الاقتصادية بصورة كبيرة .

٣ ــ **التعاون السياسى** : تستطيع المنظمة ــ بما لديها من قدرات عسكرية واقتصادية وبما تتمتع به من موقع استراتيجى فى قلب آسيا ــ أن تلعب دورا حيويا فى دعم العديد من القضايا الإسلامية خارج

وداخل المنظمة ، وقد كان واضحا منذ الوهلة الأولى حرص باكستان على استثمار المنظمة فى دعم القضايا الإسلامية وفى مقدمتها كشمير وفلسطين والبوسنه وناجورنو كراباخ فى أذربيجان . كما تستطيع المنظمة توفير حماية كبيرة لجمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية التى تفتقر الى أى جيوش إلى الآن ، ويمكنها أن تسهم فى الحفاظ على القدرات النووية التى تمتلكها كازاخستان .

- **التعاون العلمي والثقافى** : يمكن أن تسهم الخبرات المتعددة والمتفاوتة بين شعوب المنظمة فى إثراء العملية التعليمية والثقافية عن طريق تبادل الوفود من العلماء والطلاب وأساتذة الجامعات . وقد قررت المنظمة بالفعل وضع خطط عديدة لتطوير التعاون العلمى والثقافى بين دول المنظمة ، فتركيا قد أرسلت أكثر من ١١٠٠ عضو فى وفود إلى دول آسيا الوسطى منذ استقلالها ، كما أوفدت كل من إيران وباكستان وفودا علمية ووقعت اتفاقيات للتعاون فى المجالين العلمى والثقافى .

مخاطر تهدد المنظمة : هناك نوعان من التهديد أحدهما خارجي والآخر داخلى .

أما الخارجى فيمثله القلق الشديد الذى أبداه الغرب من هذا التجمع الإسلامى الضخم الذى يضم عددا من الدول الإسلامية الأصولية «إيران ـ أفغانستان» هذا القلق كشف عنه تقرير معهد دراسات السلام بواشنطن ، حيث جاء فى التقرير أن هذا التكتل الإسلامى فى

منطقة وسط جنوب آسيا ـ بما يمتلك من قدرات نووية هائلة وبما يحوى من أفكار أصولية ـ يشكل تهديدا لمصالح امريكا والنظام العالمى الجديد . وقد أعد التقرير روبرت أو كلى السفير الأمريكى السابق فى إسلام أباد .

أما التهديد الخارجى الثانى : فيمثله التحرك الصهيونى الهندى المشترك الذى جاء سريعا لمواجهة ماأسموه بالخطر الإسلامى الأصولى النووى ، وقد بدأت إسرائيل فى اتخاذ خطوات عملية عن طريق جر بعض دول المنظمة إلى معارك جانبية تؤثر على طريقة عمل المنظمة كما سعت فى الوقت نفسه إلى تخويف الهند من إمكانية تأثير المنظمة على القضية الكشميرية .

أما التهديد الثالث : فيمثله الدب الروسى الذى مايزال يعتبر أنه صاحب النفوذ الأكبر فى منطقة وسط آسيا ، وأنه لن يسمح بإخلال التوازن العسكرى فى المنطقة بما يضر باستقرار بلاده التى تضم ٢٠ مليون مسلم ، وقد فسرت السيدة ليلى يوسف ـ مديرة معهد الدراسات الاستراتيجية والدفاع فى « إسلام أباد ـ باكستان » ـ أن أكبر تهديد يواجه آسيا الوسطى اليوم هو القوة الروسية التى ماتزال تمتلك وسائل عديدة للتأثير على استقرار المنطقة . وقالت السيدة ليلى : «إن مشكلة ناجورنو كاراباخ تعود فى جزء كبير منها إلى القوات الروسية التى تدعم أرمينيا» .

أما التهديدات الداخلية : فتنحصر فى المشاكل العرقية المعقدة التى

تعانى منها جمهوريات آسيا الوسطى فكل جمهورية يعيش بها أكثر من ٩٠ عرقية أبرزها الروس . وهذا المزيج العرقي يستطيع أن يلعب دورا كبيرا فى عدم الاستقرار . خاصة فى كازاخستان التى يعيش بها مايقرب من ٣٨٪ من الروس ، وهى ورقة خطيرة تلعب بها روسيا فى التأثير على أى قرار سياسى يمكن أن تتخذه كازاخستان .

ويلى ذلك تشابك العملية الاقتصادية وتعقدها بصورة كبيرة فى آسيا الوسطى ؛ نظرا للسياسة الاقتصادية الشمولية التى أقامها الاتحاد السوفيتى فى السابق ، فقد ربط جميع الجمهوريات اقتصاديا فيما بينها حتى لاتستطيع جمهورية أن تستقل بذاتها ، فمثلا تقوم أوزبكستان بزراعة مساحات كبيرة من القطن وتقوم بتصديره إلى روسيا لتصنيعه .

أما أخطر التحديات الداخلية التى تواجه المنظمة فتتمثل فى الصراع الخفى بين كل من تركيا وإيران فى بسط نفوذهما فى آسيا الوسطى ، فقد اتجهت إيران إلى تشكيل منظمتين جديدتين من داخل المنظمة أحدهما تعرف بالدول المطلة على بحر قزوين والأخرى منظمة الدول المتحدثة بالفارسية «طاجيكستان وأفغانستان وإيران» ، كما اتجهت تركيا فى الوقت نفسه إلى تشكيل منظمة للدول المطلة على بحر البلطيق ، وسعت للاستفادة من العلاقات التاريخية الخاصة التى تربطها بشعوب المنطقة التى تعتبر فى غالبيتها من أصل تركى ، وفى هذا الصدد يقول «تورجوت أوزال» : «إن الروابط الحضارية العميقة والتاريخ المشترك والجذور العرقية القوية وجمهوريات تركمانستان وقرغيزيا وكازاخستان وأوزبكستان وطبيعة النظام العلمانى الذى تتبناه بلادنا والسياسة

الاقتصادية القائمة على اقتصاد السوق تجعل من بلادنا الخيار الأنسب لجمهوريات آسيا الوسطى » . إن تركيا العلمانية وان كانت غير قادرة فى المرحلة الحالية على المساهمة فى بناء جمهوريات آسيا الوسطى ، إلا أن ذلك لا يعنى أنها ستتخلى عما تعتبره امتدادا طبيعيا لتركيا الأم التى أقامت تركستان الكبرى والتى تعرف اليوم بآسيا الوسطى وإقليم سنكيانج الذى تحتله الصين .

على أية حال فإن المخاطر المشتركة التى تواجه شعوب دول المنظمة والبعد الإسلامى الحضارى سوف يلعبان دورا هاما فى تعاون دول المنظمة فيما بينها لكن التغيير الجذرى المطلوب تحقيقه لا يمكن أن يتحقق بين يوم وليلة ، وإنما يحتاج إلى وقت وجهد كبيرين بما يتفق مع سنن التاريخ ، وإذا كنا بالأمس لا نسمع عن شىء اسمه أوزبكستان أوطاجيكستان أو غيرهما من دول إسلامية أخرى فى آسيا الوسطى ، فإن استقلال هذه الجمهوريات ودخولها وبسرعة ضمن إطار إقليمى إسلامى يحميها من المخاطر الداخلية ويسهم فى حل مشاكلها الداخلية يدل على أن المستقبل الإسلامى المشرق فى المنطقة قد بدت معالمه فى الأفق .

المنطقة الاقتصادية للبحر الأسود :

تعد إقامة هذه المنطقة فكرة أمريكية فى المقام الأول إذ تم تمريرها عام ١٩٨٩ على القيادة التركية عبر سويكرو إليكداغ السفير التركى بواشنطن (سابقا) ، فعرضها على الرئيس الراحل تورجوت أوزال فى

مطلع عام ١٩٩٠م ، فتبناها الأخير ، بعد الدراسة ، منذ نهاية نفس العام ، خاصة وأن بلغاريا ورومانيا أبدتا استعدادهما لدخول مثل هذه المنطقة ، بعد تحولهما عن النظام الشيوعى[٧٤] .

تم إجراء أربعة اجتماعات نوقشت فيها مجالات التعاون ، وتخفيض التعريفة الجمركية ، وحرية حركة السلع ، والعمالة ، ورأس المال ، والخدمات ، وذلك خلال المدة من ديسمبر ١٩٩٠م حتى يوليو ١٩٩١م .

بانهيار الاتحاد السوفيتى حثت أمريكا تركيا[٧٥] وروسيا ـ بوصفهما عمودى هذا التجمع الجديد على سرعة إبرام الاتفاقية ، فتم ذلك فى الثالث من فبراير ١٩٩٢م إذ وقع وزراء خارجية ، ونواب وزراء خارجية دول المجموعة فى استانبول .. ثم وقعت الدول الأعضاء فى التجمع الميثاق يوم ٢٥ يونيو ١٩٩٢م فى استانبول[٧٦] .

وقد تضمن هذا التجمع دولا من «البحر الأسود» ، وأخرى من خارج المنطقة !

---

(٧٤) Faruk Sen فاروق زين, Black Sea Economic Co-operation : A Supplement to the EC?, Aussen Politik, German Foreingn Affairs Review, 3rd Quarter 1993, Interpress Verlag GmbH, Hamburg, PP. 281 — 287.

(٧٥) تبع ذلك مباشرة لقاء بين الرئيس الأمريكى (السابق) جورج بوش ، وبين رئيس الوزراء التركى سليمان ديميريل (رئيس الجمهورية الحالى) ، فى الحادى عشر من فبراير ١٩٩٢ م . للتأكد من تأييد الولايات المتحدة الأمريكية للدور التركى فى المنطقة . راجع : تقرير حمدى فؤاد للأهرام فى ٢٤ مارس ١٩٩٢ ، ص ٥ بعنوان : أمريكا تنظر فى ترقب المسلمين فى اسيا الوسطى .

(٧٦) وقع رئيس الوزراء التركى سليمان ديميريل على الاتفاق رغم وجود رئيس الجمهورية .. باعتبار ان مثل هذه الاتفاقات من سلطاته هو لا من سلطات رئيس الجمهورية .

فضم تركيا وروسيا وأوكرانيا ، واليونان وألبانيا وكازاخستان وقرغيزيا وأوزبكستان وتركمانستان وطاجيكستان وجورجيا ورومانيا وبلغاريا وأرمينيا وأذربيجان ومولدوفيا .. وأبدت كل من صربيا والبوسنة والهرسك ومقدونيا رغبتها فى الانضمام لهذا التجمع ، لكن ظروف القتال فى البلقان حالت دون توجيه الدعوة إليهم .

ولعل من الضرورى أن يكون واضحا لنا أن هذا التجمع له هدف رئيس وهو سرعة الاندماج فى النظام الاقتصادى العالمى(٧٧) وهى خطوة لتحقيق هدف النظام الدولى الجديد فى مركزية التحكم فى الاقتصاد العالمى .

ولئن كان هناك أهداف أخرى لهذا التجمع ، منها التعاون فى مجالات الاتصالات والنقل ، والكمبيوتر ، وتبادل المعلومات ، والإحصاءات والتوحيد القياسى ، والطاقة والتعدين والسياحة والزراعة والصناعات الزراعية والخدمات البيطرية والنظم الصحية والدوائية وفى مجال العلوم والتكنولوجيا بوجه عام ، فإن هذه الأهداف ، إذا أمعنا النظر فيها نجدها تصب كلها فى الهدف الرئيس سالف الذكر .

ويدعم وجهة نظرنا هذه أن الإعلان المشترك لهذه الدول قد نص على أنه يتواءم تماما مع مبادىء «اللائحة النهائية لهلسنكى» THE FINAL ACT OF HELSINK المبرمة عام ١٩٧٥م ، ومع وثائق «مؤتمرات الأمن والتعاون الأوروبى» CSCE ، ومع مبادىء القانون الدولى .

---

(٧٧) فاروق زعن ، ص ٢٨٢ .

ولما كان هذا التجمع المتناقض فى ذاته ليس إلا تجمعاً للاحتواء ، فقد جاء البعد السياسى فيه أقوى وأظهر من البعد الاقتصادى ، إذ أكد ميثاق هذا التجمع احترام قيم الحرية ، والديمقراطية وحقوق الإنسان والحريات الأساسية وضرورة أن تسجل فى دساتير هذه الدول .

أما عن عمودى التجمع فإن لكليهما طموحاته التى تدفعه إلى العمل بهمة ونشاط : فأما روسيا ، التى صارت رغم إمكاناتها الهائلة ، دولة من الدرجة الثانية ، فهى تريد أن تعوض ما أصابها من ضعف بأن تترأس مجموعة تعتبرها إمبراطورياتها الرومانية الشرقية (البيزنطية) بكنيستها الأرثوزكسية ، التى توجد رئاستها فى موسكو ممثلة فى البطريق إليكس الثانى .

وأما تركيا ، فطالما تطلعت للالتحاق بأوروبا ، منذ عشرينيات القرن العشرين ، ولطالما تطلعت للالتحاق « بالمجموعة الاقتصادية الأوروبية » منذ نشأتها عام ١٩٥٧م ، لكن أعضاءها يرفضون مثل هذا السعى مبررين رفضهم ـ بكل الوضوح ـ بسبب اختلاف منظومتى القيم : فى أوروبا من جانب ، وتركيا من جانب آخر .. أى لأن تركيا مايزال شعبها مسلما !.. بيد أن تركيا لم تفقد الأمل الذى تلوح به أمريكا كل حين ، خاصة منذ قيام تركيا بدور فعَّال فى تمكين القوات الأمريكية من الهيمنة على منطقة الخليج ، وتقسيم العراق تقسيما واقعيا ، تحميه الطائرات الأمريكية التى تنطلق من قواعدها فى تركيا !

منظمة تعاون دول بحر قزوين :

وتتكون من روسا وإيران وكازاخستان وتركمانستان وأذربيجان وتستهدف السيطرة على بحيرة البترول ومخزن الغاز الطبيعى الهائلين فى بحر قزوين وعلى الملاحة فى هذا البحر المغلق .

وهذا تجمع يستهدف محاولة إبعاد هذه المجموعة عن تركيا، كما تستهدف روسيا من ورائه تدفق ما تحصل عليه من الموارد الطبيعية بحوض بحر قزوين [٧٨] .

(٧٨) د. فوزى طايل ، مرجع سابق ، ص ص ٣٤٧ ـ ٣٤٩ .

الفصل الخامس

المستقبل السياسى

لجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية

تمهيد : انهيار الاتحاد السوفيتي والنظرية الشيوعية .

المبحث الأول : النتائج السياسية المترتبة على انهيار الاتحاد السوفيتى « الخاصة بتلك الجمهوريات » .

المبحث الثانى : احتمالات التطور السياسى المستقبلى للجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز .

المبحث الثالث : تكوين نظام إقليمى إسلامى يشمل الجمهوريات الإسلامية وكلا من : (تركيا ، وإيران ، والعرب) .

مبحث تمهيدى
انهيار الاتحاد السوفيتي والنظرية الشيوعية

مقـــدمة :

لم يتفكك الاتحاد السوفيتي نتيجة حرب نووية ، أو تقليدية ، أو حتى حرب أهلية ، لكن حدث ذلك بطريقة قانونية هادئة ، فيما سمى باتفاقية « مينسك » Minsk (عاصمة روسيا البيضاء) ففى الثامن من ديسمبر عام ١٩٩١ م أعلن رؤساء الدول السلافية الثلاث الكبرى : « روسيا الاتحادية » ، و« أوكرانيا » و« روسيا البيضاء » إلغاء « الاتحاد السوفيتى » ، وإقامة رابطة جديدة سميت « كومنولث الدول المستقلة » .

وفى اليوم الثالث من ديسمبر أعلن رؤساء الدول الإسلامية الخمس فى وسط آسيا : قازاخستان وقرغيزستان ، وطاجيكستان ، وتركمينستان ، وأوزبكستان ، بعد اجتماع لهم فى « عشق أباد » – عاصمة تركمانستان – أنهم ينضمون إلى الكومنولث الجديد شريطة قبولهم كأعضاء مؤسسين .

اتخذ الكومنولث شكله الجديد فى « المآتا Alama-Ata » عاصمة قازاخستان يوم ٢١ ديسمبر عام ١٩٩١ م ، ليضم كل جمهوريات

الاتحاد السوفيتى السابق ، عدا جمهوريات البلطيق الثلاث (إستونيا - لاتفيا - لتوانيا) ، التى استقلت نهائياً فى سبتمبر عام ١٩٩١ م ولم تنضم جمهورية « جورجيا » إلى الكومنولث .. على حين تم انضمام كل من « أذربيجان ، ومولدوفا ، وأرمينيا » ، فيما بعد .

هذه الرابطة الجديدة تعد بمثابة رابطة أقل تماسكاً من الاتحاد السابق ، وهى ليست سوى مخفف لحدة تفكك الاتحاد السوفيتى ، ومحاولة للسيطرة على الطاقة التى تتولد عادة عن مثل ذلك التفكك ، الذى كان يخشى أن يتحول إلى انهيار مدوٍ لا تحمد عقباه ، وتصل آثاره المدمرة إلى غرب أوربا وأمريكا .

ومما يجدر ذكره أن الاتحاد السوفيتى كان قد أشرف على فك الارتباط بينه وبين الدول الشيوعية فى شرق أوروبا ، كما سبق تحلل الاتحاد السوفيتى ، وهدم سور « برلين » ، ووحدت ألمانيا الشرقية والغربية لتعودا دولة واحدة كما كانتا قبل عام ١٩٤٥ م .

أدى هذا الوضع تدريجياً ، إلى تناثر الجمهوريات التى كانت تكون الاتحاد ، ومنها بطبيعة الحال الجمهوريات الإسلامية الست الكبرى فى وسط آسيا والقوقاز ، والتى لم تكن فى يوم من الأيام متكاملة فى هذا الاتحاد[1] .

---

(1) Igor Malashenko (a senior foreing policy analyst for the Central Committee of the Soviet Communist Party), Nationalism's Silver Lining, Time, May 21 1990, P. 15.

النظرية الشيوعية تحمل معاول هدمها :

جاءت النظرية الشيوعية تحمل فى طياتها معاول هدمها وذوبان ذاتها ، قالت : إن صراع الطبقات يتولد عنه ثورة البرولتياريا فى الكيان الرأسمالى الصناعى ، فإذا بالثورة تبدأ فى المجتمعات الزراعية الفقيرة ، وافترضت أن الآلة تحتل مكان العامل ، فكانت المصانع بآلاتها الضخمة هى سمات المجتمع السوفيتى ، وإذا به يلهث وراء المجتمع الرأسمالى يستجدى تكنولوجيته الحديثة .

وقالت النظرية : إن الدولة جهاز حكم تسلطى فى أيدى الأرستقراط للضغط على الفقراء والضعفاء من عمال المصانع وفلاحى الحقول ليستمروا فى بيع طاقتهم البدنية لصالح الرأسمالية ، فإذا بالسلطة بعد الثورة الشيوعية ، تتركز كلها بين يدى الحزب الشيوعى وحده ، ويذهب هذا الحزب بكل مميزات الحكم والسلطان ، ويكون هو جهاز قهر واضطهاد لغير أعضائه من المجتمع .

وذهبت النظرية الشيوعية ـ فيما ذهبت ـ إلى أن المجتمعات تتخطى مراحل ثلاثا : طور الثورة حيث تتغلب الطبقة العمالية ، ثم مرحلة الاشتراكية ، وفيها تكون ديكتاتورية البلوريتاريا ، وأخيراً طور الشيوعية بنعيمها الذى تفنى فيه الدولة ويفنى معها القانون ، فلا حاجة إليهما ، فقد انتهت مهمتهما ؛ فإذا بها تتوقف وتتحجر عند طور الاشتراكية وديكتاتورية البلوريتاريا ، ولا ترى نعيم الشيوعية الموعود .

ثم كان أمر القومية ، فقد تشكك ماركس وانجلز بشأنها ، واعتبراها عامل تفكك وانفصال بين الطبقة العمالية العالمية ، فالعمال الفرنسيون والبولنديون ـ مثلاً ـ يتحدون ظلم الرأسمالية فى كل من البلدين ، وأن الطبقية وليست القومية هى العامل الأساس فى الوحدة والتمييز بين العمالة والرأسمالية فى العالم كله .

وبهذا تكون القومية لاشىء غير وعى خاطىء يفرق ويشتت البروليتاريا العالمية ، ويأتى لينين ليعدل من كلام ماركس وانجلز ، فيقول بأن الإيدولوجية الشيوعية يجب أن توافق الشعور والتأثير القومى لكل دولة ، وأن الشيوعية يجب أن ترتبط بالقومية ولا تعارضها . ثم كان ستالين بعد ذلك يتأرجح بين الإيدولوجية الشيوعية والقومية ، ويقول بضرورة الدفاع عن الاتحاد السوفيتى أولاً ، وتقويته بعناصر القومية حتى يستطيع أن يمد يده إلى الثورات البلوريتارية فى العالم ويأخذ بيدها ، ولا يتمكن الاتحاد السوفيتى من ذلك إذا كان ضعيفاً أو فى مركز أقل قوة بين منافسيه فى الساحة العالمية .

وبما أن الاتحاد السوفيتى يتكون من قوميات متعددة ، فلم يستطع أن يوفق بين الفلسفات المعدلة وتطبيقاتها ، فقد كان مضطرباً فليست هناك قومية سوفيتية موحدة ليرتكز عليها ، وينطلق بها إلى الثورات العالمية ، وفى نفس الوقت يخشى من القوميات غير الروسية فى الاتحاد السوفيتى ، فأخذ يخلط بين القوميات بالتهجير فيما بينها ؛ ليقيم أقليات وسط أكثريات فى تلك المجتمعات ، وتظل فى صراع دائم يحول دون عودة قومياتها

إليها[٢] وينتهى كل ذلك بانهيار الإيدولوجية الشيوعية ، وتظهر القوميات متحررة فى شكل دول مستقلة .

مظاهر انهيار الاتحاد السوفيتى[٣] :

١ ـ محاكاة النظام السياسى الغربى ، بإصدار قانون الانتخابات ، وإجراء انتخابات عامة عام ١٩٨٩ م لقانون مجلس تشريعى ذى سلطات واسعة ، تشرع وتراقب وتنتقد السلطة التنفيذية .

٢ ـ مشروع يقضى بتعديل الدستور ليرفع منه السلطة القيادية التى يتمتع بها الحزب الشيوعى .

٣ ـ فى شهر ديسمبر عام ١٩٩٠ م صدر قانون يحول النظام الاقتصادى المركزى إلى نظام السوق الحرة وذلك تمهيداً لمساعدة المؤسسات الاقتصادية الدولية .

٤ ـ فى السادس والعشرين من يوليو عام ١٩٩١ م تجتمع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى لتقرر التخلى عن الشيوعية الماركسية اللينينية .

٥ ـ إلغاء القانون الاتحادى الصادر عام ١٩٢٢ م ، وإقرار المعاهدة الاتحادية الجديدة ، والأهم من ذلك أنه أصبح للجمهوريات حق الانفصال عن الاتحاد السوفيتى ، وتسابقت الجمهوريات فى الإعلان عن استقلالها ، وكانت الجمهوريات الثلاث المتجاورة والواقعة على بحر البلطيق

---

(٢) د. عبدالمنعم البدراوى ، العلاقات الدولية بين النظرية والتطبيق ، الدار البيضاء ، ١٩٨٠ ، ص٣٠٤ وما بعدها .

(٣) د. عبدالمنعم البدراوى ، الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، بحوث المؤتمر المجلد الثامن ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(إستونيا ـ ليتوانيا ـ لاتفيا) ، ومعها مولدافيا وكلها ضمت للاتحاد السوفيتى عام ١٩٤٠ م ، و (جورجيا وأرمينيا) فى القوقاز وقد ضمتا عام ١٩٣٦ م فى مقدمة حاملى راية الاستقلال حتى استقلت باقى الجمهوريات بلا استثناء .

وفى تطور لاحق نجد أن الجمهوريات الخمس عشرة بعضها يتعرض للتفتت ، فـ« إنجازيا » تحارب للانفصال عن « جورجيا » ، ومجموعة الجمهوريات الصغيرة العشرين داخل روسيا الاتحادية ومنها مجموعة الأورال ، ومجموعة بريمودى تسعى للانفصال هى الأخرى عنها .

المبحث الأول

النتائج المترتبة على انهيار الاتحاد السوفيتى

ترتب على انهيار الاتحاد السوفيتى العديد من النتائج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وسوف نركز هنا على السياسية

أولاً : أزمة الهوية الروسية

ـ عندما انهارت النظم الشيوعية وتفكك كيان الاتحاد السوفيتى ، ودخلت الدولة الروسية فى أزمة هوية عنيفة لاتقارن بأى أزمة تعرضت لها الامبراطوريات الأوربية السابقة .

فانهيار النظام الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى أدى إلى طمس الأيديولوجية السابقة بكل ما تمثله فى التاريخ السوفيتى ، ولكن بدون استبدالها بأيديولوجية جديدة تحل محلها فضاعت هوية المواطن الروسى ، وأصبح لايعرف ما هو الروسى ؟ وما هى روسيا ؟ ويتساءل هل هو جزء من أوروبا ؟ أم جزء من آسيا ؟ وهل هو خليط من الاثنتين ؟ أم شخصية منفردة ؟

فالرئيس الروسى بوريس يلتسين فى محاولته إدانة الماضى قام بتدمير كل الإنجازات التى كان يفخر بها المواطن الروسى ، والمؤسسات التي كان يحترمها ومنها :

(أ) تحطيم صورة الزعيم السوفيتى لينين مؤسس الدولة السوفيتية

عندما سمح فى عام ١٩٩١ م بكشف الحلقة الخاصة بالسياسة السوفيتية العليا حيث أشار إلى مدى تورط لينين فى عمليات القمع الرهيبة للمواطنين فى أعقاب ثورة ١٩١٧ م .

(ب) اتهم يلتسين الرئيس السوفيتى الأسبق ستالين بسوء قيادته لمعركة ستالينجراد عام ١٩٤٣ م ، وأشار إلى الأعداد الكبيرة من الضحايا الروس بالمقارنة بالقتلى الألمان .

(جـ) أدان يلتسين كل فترة حكم الماركسية اللينينية ، وحمل الحزب الشيوعى السوفيتى مسئولية جميع سقطات تلك الحقبة .

بعد أن انتهى يلتسين من تدمير الهوية السوفيتية للشعب الروسى فشل فى إيجاد هوية جديدة له ينتمى إليها .

فقد فقد الشعب الروسى دوره الإمبريالى وتحولت روسيا من مركز السيطرة والهيمنة إلى مجرد دولة ذات سيادة تشارك دولا أخرى مستقلة فى اتحاد « دول الكومنولث » .

والقيادات الروسية الحالية تفضل الاتجاه إلى الغرب حيث القوميات السلافية وتسعى إلى تحقيق تقارب معها كما يحدث مع الصرب فى يوغوسلافيا السابقة .

ولكن لايستبعد المحللون أن يتجه الشعب الروسى مرة أخرى إلى استعادة هيمنته وإمبراطوريته فى الشرق ، خاصة وأن الصراعات العرقية

والدينية فى الجمهوريات المستقلة تشتد وتشتعل وتدفع يلتسين إلى التدخل ، فقد تساعده على استعادة صورته الإمبريالية القديمة [٤] .

ثانياً : المشكلات الخاصة بالجمهوريات الإسلامية :

وأهمها المشكلات العرقية ، والحدودية ، والتباين والصراع بين الصفوة الحاكمة .

١ ـ بالنظر إلى التوزيع السكانى للعناصر التى تكون الجمهوريات الإسلامية يلاحظ أنه قد مورس نوع نسج من الهندسة البشرية لتغيير البنية السكانية للبلاد من خلال :

(أ) الترحيل البشرى للسكان إلى أماكن أخرى .

(ب) الهجرة من قبل العناصر الروسية والأوكرانية لهذه البلاد ، انظر الشكل البيانى الذى يوضح نسب الروس والأوكران فى الجمهوريات الإسلامية .

(جـ) تغيير حدود الأقاليم لإيجاد واقع بشرى يمكن السيطرة عليه خاصة وأن سكان هذه البلاد أبدوا مقاومة عاتية للاستعمار القيصرى فى القرن الماضى ، وللاستعمار الروسى فى بدايات القرن الحالى .

ومن ثم فهناك مشكلة أقليات كامنة داخل هذه البلدان يمكنها أن تنفجر ، كما لايجب الاستهانة بها إذا علمنا أن بداية الانفجار الحقيقى لمشكلة الأقليات داخل الاتحاد السوفيتى قد بدأ فى إقليم صغير يسمى

---

(٤) الأهرام القاهرية ١٩٩٣/٣/٧ نقلا عن الأندبندنت

(تاجور نوكار باخ) تقطنه أغلبية أرمينية داخل آذربيجان المسلمة ولايزيد تعدادهم على حوالى ٨٪ وبالتالى تصبح مسألة التكامل القومى إحدى أهم هذه المشاكل التى تواجهها هذه الجمهوريات .

٢ ـ هذه الجمهوريات لها امتدادات عرقية فى جمهوريات أخرى ، فالطاجيك لهم امتداداتهم فى أفغانستان ، والأذربيجانيون لهم امتدادتهم فى إيران ومعظمهم على عكس ما هو شائع ينتمى للقومية التركية ، كما تتاخم تركمانستان كلا من أفغانستان وإيران ، وتتاخم الأوزبيك والقازاق ولاية تركستان الشرقية فى الصين .

وفيما يلى بعض النماذج للمشاكل الحدودية والعرقية :

(أ) ففى طاجكستان تقع الاشتباكات الحدودية بينها وبين جارتها أفغانستان ، حيث تضع روسيا نفسها فى موقف التدخل لحماية الحكومة الطاجيكية الموالية لها ، ولهذا ترابط قوات كبيرة من حرس الروس فى هذه المنطقة .

ويمكن الدافع الأساسى وراء هذا الموقف من جانب روسيا إلى وجود نحو مائتى ألف روسى يعيشون فى الوقت الحاضر فى طاجكستان ، وأن استمرار انعدام الأمن فى هذه المنطقة سوف يدفع بأعداد كبيرة منهم نحو العودة إلى روسيا ، فى الوقت الذى تعانى فيه روسيا من انتشار البطالة وتعاظمها ، وتقدر بنحو ٥ ملايين متعطل تعجز الدولة عن حل مشكلاتهم .

---

(٥) كمال سعيد ، الجمهوريات الإسلامية فى وسط آسيا : حاضرها ومستقبلها ، الوفد القاهرية ، ١٩٩٢/١/٥

ومما يؤكد هذه الحقيقة أن تقديرات أعداد السكان الروس كانت تقدر بنحو ٤٩٥ ألف مواطن يعيشون فى طاجيكستان منذ ثلاث سنوات[٦] ، أى أن عددهم قد تقلص بأكثر من النصف خلال الفترة القصيرة المشار إليها ، وذلك بسبب الاضطرابات التى شهدتها هذه المنطقة .

وأما العامل الثانى من المخاوف فيتمثل فى خشية روسيا من توغل النفوذ الإسلامى المتشدد ـ حسب زعمهم ـ إلى طاجيكستان ، ومن ثم إلى روسيا ذاتها مروراً بأوزبكستان .

(ب) كذلك تشهد منطقة القوقاز نزاعاً كبيراً بين أذربيجان وأرمينيا فلا تزال هذه المنطقة محل نزاع يتمثل فى هجمات أرمينية كان آخرها فى ١٩٩٣/٣/١٧ م حينما حاصرت القوات الأرمينية مدينة فيزولى بهدف السيطرة عليها وتضييق الخناق على « ناجورنو كارباخ » المتنازع عليه بين البلدين[٧] .

وهذا الإقليم يقع داخل أذربيجان غير أن به أغلبية سكانية أرمينية وقد سبق لهذا الإقليم أن قام بالإعلان عن استقلاله وقامت أرمينيا بدعم هذا الاستقلال وتسعى من أجل اعتراف الأسرة الدولية بهذا الاستقلال مع تقديم السلاح للسكان لمقاومة السلطات الأذربيجانية ، وتتبادل

---

(٦) صحيفة الأهرام ـ القاهرة ـ ١٩٩٣/٨/١٧ صفحة ٥ ـ عن الاندبندنت

(٧) صحيفة الأهرام ـ فى ١٩٩٣/٨/١٩ .

كلتا السلطتين الأرمينية والأذربيجانية الاتهامات بشأن استمرار القتال والمتسبب فيه .

(جـ) وفى كازاخستان يشكل سكان البلاد أقلية فى وطنهم حيث بلغت نسبتهم إلى مجموع السكان ٣٦٪ فى عام ١٩٧٩ م ، بينما بلغت نسبة الروس والأوكرانيين ٤٨٪ ، ويرجع ذلك إلى سياسة الروس لاستيطانية التى قامت على طرد السكان المسلمين ، وإحلال الروس علهم إلا أنه من المتوقع حدوث تحولات فى تركيب السكان لصالح لسلمين منهم بعد حصول البلاد الإسلامية على استقلالها ، وانتقال عداد كبيرة من المهاجرين إلى أراضيهم[٨] .

---

٨) أنظر أيضا : د. معين محمد رجب ، مرجع سابق ، ص ١١ ــ ١٢

الجمهورية	النسبة والقومية
أذربيجان	٧٨٪ أذربيجانيون
	٨٪ أرمانيون
	٨٪ روس
كازاخستان	٤١٪ روس
	٣٦٪ كازاخستانيون
	٦٠٪ أوكرانيون
	٢٪ تاتار
تركمانستان	٦٨٪ تركمانستانيون
	١٣٪ روس
	٩٪ أوزبك
	٣٪ كازاخستانيون
أوزبكستان	٦٩٪ أوزبك
	١١٪ روس
	٤٪ تاتار
	٤٪ كازاخستانيون
	٤٪ طاجاخستانيون
طاجيكستان	٥٩٪ طاجستان
	٢٣٪ أوزبك
	١٠٪ روس
قيرغيزستان	٤٨٪ جورجيويا
	٢٦٪ روس
	١٢٪ أوزبك
	٣٪ أوكران
	٢٪ تاتار

المصدر : د. عبدالمنعم البدراوى ، مصدر سابق ، ص ١٣٧ .

هيكل الصفوة فى الجمهوريات الإسلامية :

إن هناك تيارين قويين فى هذه البلدان : تيار الطبقة المثقفة والمفكرة أو الحاكمة كأساتذة الجامعات والصحفيين ورجال الإعلام والقضاة أعضاء الحزب الشيوعى القديم وغيرهم ، وهؤلاء ذوو اتجاهات ماركسية وشيوعية ، ومنهم رئيس دولة كازاخستان نفسه .

والتيار الثانى وهو التيار الإسلامى الوليد الذى تنامى فى ظل البروسترويكا فظهرت أحزاب سياسية ففى دوشنيه عاصمة طاجيكستان ظهر حزب النهضةالإسلامية ويرأسه محمد شريف ، كما ظهرت أحزاب إسلامية أخرى فى أوزبكستان ، وكازاخستان ، وهناك صراع بين هذه الاتجاهات مثلا من أجل تكوين الأحزاب على أساس دينى[9] .

---

(٩) كمال السعيد ، الوفد ١٩٩٢/١/٥ .

المبحث الثانى

احتمالات التطور السياسى المستقبلى للجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز

ازداد اهتمام المراقبين فى الآونة الأخيرة ببروز المسلمين السوفييت ـ لأول مرة منذ عهد طويل ـ كقوة سياسية فى مرحلة «التبلور» يضعها الجميع على الساحة الدولية محل اعتبار وضمن حساباتهم المستقبلية . ويتراوح عدد المسلمين السوفييت فيما بين ٦٠ ـ ٧٠ مليونا مما يجعلهم اليوم فى المركز الخامس بين الدول الإسلامية فى العالم ، بعد إندونسيا والهند وباكستان وبنجلاديش .

وتبرز أهمية استكشاف الاحتمالات المستقبلية للتطور السياسى للجمهوريات الإسلامية ، فى منظومة الدول المستقلة بشكل كبير ، لأن تلك الجمهوريات أصبحت إضافة جديدة وفعالة على الخريطة السياسية للعالم الإسلامى ، فى ظل التغيرات العاصفة والناشئة فى إطار النظام الدولى الجديد ، ناهيك عن التأثير المتوقع لظهور تلك القوة السياسية على الأوضاع فى المنطقة العربية والإسلامية .

ولا يمكننا أن نستشرف احتمالات مستقبل تلك الجمهوريات دون أن نضع فى اعتبارنا العوامل السكانية والجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والتاريخية الخاصة بتلك الجمهوريات ، كما أن الأوضاع

السياسية الناشئة داخل المجتمعات الإسلامية هناك ، وخريطة القرى السياسية بها ، وأيضاً طموحات السياسة الروسية وإرادتها من جانب ، وإرادة أركان «النظام الدولى الجديد» وقيادته المتمثلة فى الولايات المتحدة الأمريكية والغرب ، تلعب جميعها دوراً هاماً فى تحديد أفق التطور المستقبلى للقوة الإسلامية الجديدة الناشئة بعد انهيار الإمبراطورية السوفيتية ، ويتشابك مع صراع الإرادات حول المستقبل أيضاً طموحات بعض القوى الإقليمية فى المنطقة وأبرزها إيران وتركيا والعرب .

وعلى ضوء كل تلك الخلفيات والعوامل التى أشرنا إليها ، يطرح الواقع العملى والحالى أمامنا خمسة احتمالات مستقبلية ، ليجد أحدها طريقه إلى الحياة ، حسب تطور الظروف والمعطيات ؛ وحسبما يسفر عنه جدل وصراعات إرادات أربع هى :

١ ـ إرادة الجمهوريات ذاتها .
٢ ـ إرادة روسيا (المركز) .
٣ ـ إرادة النظام الدولى الجديد .
٤ ـ إرادة القوى الإقليمية الطامحة (إيران ، تركيا ، العرب) .

وسنسرد فيما يلى الاحتمالات المستقبلية وإمكانية حدوثها .

١ ـ اتحاد الجمهوريات الإسلامية فى إطار دولة إسلامية واحدة .
٢ ـ عودة الجمهوريات الإسلامية إلى إطار اتحادى مركزه روسيا
٣ ـ التفتت أو الاستقلال الانشطارى .
٤ ـ استمرار الإطار الكونفيدرالى الواسع .

٥ ـ اتحاد الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز مع أحد عناصر مثلث القوة الإقليمى (تركيا ، إيران ، العرب) لتكوين نظام إقليمى إسلامى .

ولأهمية الاحتمال الخامس بالنسبة للعالم الإسلامى خصوصاً فى ظروفنا الحاضرة سيخصص له مبحث مستقل عن هذا المبحث .

١ ـ اتحاد الجمهوريات الإسلامية فى إطار دولة إسلامية واحدة

برغم أن الدين الإسلامى يجمع بين غالبية سكان الجمهوريات الإسلامية السوفيتية ، فإن نوازع القومية والعرقية تعوق دون تحقيق هذا الاحتمال على المستوى المنظور ، ناهيك عن أن الظروف الاقتصادية لتلك البلدان تجعلها بعيدة عن الاكتفاء الذاتى والتكامل فيما بينها ، وتجعلها فى حاجة اقتصادية إلى روسيا بالأخص ، وإلى بقية الجمهوريات الأخرى ، ولا ننسى أن كازاخستان ـ أكثر الجمهوريات الإسلامية قدرة اقتصادية وصناعية ، والتى تملك أسلحة نووية ـ أغلبية سكانها من غير المسلمين ، سوف تكون خارج هذا الإطار الاتحادى فى حالة تكونه مما سيضعف من إمكاناته كثيراً ، كما أن شعوب بقية الجمهوريات الإسلامية ستنظر بعين الخوف تجاه أوزبكستان ، ذات الثقل البشرى الكبير ، خوفاً من سيطرة الأوزبك على مصير هذا الاتحاد ، ويقف ضد هذا الاحتمال أن دعاته أنفسهم من الأصوليين ، يقعون جغرافياً فى إطار جمهورية روسيا الاتحادية ، فـ «حزب النهضة الإسلامى» ، أكثر الأحزاب الأصولية نفوذاً ، قد عقد مؤتمر التأسيس

فى استراخان بروسيا ، وسجل نفسه فى موسكو ، وهو محظور فى طاجكستان وأوزبكستان وتركمانيا وكازاخستان .

وتتباين وتتناقض الاتجاهات السياسية والاقتصادية لسلطات الجمهوريات الإسلامية ، فبينما يمثل «عسكر أكاييف» رئيس جمهورية قرغيزيا و «نزاربيف» رئيس جمهورية «قازاخستان» وجهين مقبولين للغرب ، وللمركز ، تمثل زعامات أذربيجان وأوزبكستان وتركمانيا وطاجكستان امتداداً للمركزية والشمولية التى عاشت فى الاتحاد السوفيتى من قبل .

وتتفق إرادتا المركز ـ روسيا ، والولايات المتحدة ، والغرب ، على مناهضة ذلك الاحتمال ، لأنه يصنع ثقلا سياسياً جديداً فى آسيا قد يسمح باختلال موازين القوى العالمية ، وقد تتنامى بقوة دفعة الأصولية الإسلامية لتصنع مع إيران خطراً حقيقياً على استقرار النظام الدولى الجديد .

تتعدد المحاولات لإجهاض هذا الاحتمال من خلال إنشاء هياكل اقتصادية وسياسية وأمنية متعددة وجديدة ، لامتصاص الجمهوريات الإسلامية داخلها ، وكرديف لمنظومة الدول المستقلة ، أمثلة ذلك اتفاق الدول المطلة على البحر الأسود ، ومجلس تعاون دول بحر قزوين وغيرها[10] .

---

(١٠) د. إيمان يحيى ، احتمالات التطور السياسى المستقبلى للجمهوريات الإسلامية السوفيتية ، مجلة شئون سوفيتية ، ص١١ .

٢ ـ عودة الجمهوريات الإسلامية إلى إطار اتحادى مركزه روسيا (خيار عودة الهيمنة الروسية)

يطلق بعض المراقبين على هذا الاحتمال «خيار الأخ الأكبر الروسى» ، ويعنى هذا الاحتمال عودة شكل الإتحاد الفيدرالى الذى تسيطر عليه روسيا ، بزعامة قياداتها القومية ، وقد يستند هذا الاحتمال إلى بروز النعرة القومية أو فى الخطاب السياسى للمعارضة داخل روسيا والتى تتهم القيادة الروسية فى الخطاب السياسى للقيادة الروسية والمتمثلة بيلتسين وبطانته بالتسبب فى انهيار الإمبراطورية السوفيتية ، والمساس بمجال الأمن الحيوى لروسيا .

ويصطدم هذا الاحتمال بعوائق كثيرة ، أهمها أن الطموح الروسى يرتبط بنشاط متزايد للكنيسة الأرثوذكسية الروسية بل ويصطبغ بلونها ، مما يولد الكثير من المقاومة لدى المسلمين السوفييت ـ لقد أصر يلتسين مثلا على أن ينصبه قسيس روسى رئيساً لروسيا ، فى ظل نمو تعاطف الرأى العام الروسى تجاه الكنيسة ، وفى بيان لمركز استطلاع الرأى العام فى عموم الاتحاد السوفيتى أعطى ٦٣٪ من الروس ثقتهم للكنيسة بينما وثق ١٨٪ بمنظمة «الذاكرة» القومية الروسية . وفى حين أعادت السلطات السوفيتية عشرة آلاف مبنى للكنائس إلى الكنيسة الأرثوذكسية تمت إعادة اثنى عشر مسجداً فقط للمسلمين فى أثناء أعوام البريسترويكا ، بل وتحاول الكنيسة الروسية غزو المجتمعات

الإسلامية فيقرر البابا ألكس الثانى تقسيم أبرشيه كازاخستان إلى ثلاثة أبرشيات مما يؤدى إلى اعتراض رئيس جمهورية كازاخستان والمسلمين فيها ، وتتزامن تلك النعرات القومية الروسية مع تهديدات روسية ببيع الغاز والفحم والنفط بأسعار عالمية لتلك الجمهوريات ، وبالمطالبة بتعديل الحدود مع بعضها .

وهنا تبرز حقيقة واضحة وهى : إذا كانت الجمهوريات الإسلامية السوفيتية رضيت بالهيمنة الروسية خلال أكثر من سبعين عاماً ، فإن ذلك كان مرجعه سقوط الإمبراطورية الروسية الأرثوذكسية ومساواة المسلمين والمسيحيين فى التضييق العقدى والدينى تطبيقا لمبدأ «المساواة فى الظلم عدل» .

ولكن بانهيار الاتحاد السوفيتى والشيوعية السوفيتية ، استعادت روسيا وجهها القيصرى وتعصبها المسيحى الأرثوذكسى ، وهذا لن تقبله الشعوب المسلمة السوفيتية بأى حال من الأحوال . وقد تبدت مقاومة تلك الجمهوريات ، بإصرار «نزاربييف» على احتفاظ جمهورية كازاخستان بالأسلحة النووية فى أراضيها ، بل إنه بعث برسالة إلى «يلتسين» يحذره فيها من «تصاعد النقمة فى جمهورية نووية» وتبدت تلك المقاومة أيضاً فى اتجاه الجمهوريات الإسلامية إلى الإعلان عن استقلالها قبل انهيار الاتحاد وتكوين جيوشها الخاصة .

ويواجه التسلط الروسى على صعيد روسيا نفسها مقاومة يعتد بها ، ويردد الساسة والمفكرون الآن فى موسكو أن «يلتسين قد أنجز رسالته وحان وقت رحيله» ، لأن وجوده قد أصبح العائق الأساسى فى

وجه إنقاذ الشكل الاتحادى فهو يخيف الجمهوريات الأخرى ويحفز عملية الابتعاد عن المركز . ويخشى الروس من خطر الهجرة[11] الداخلية المضادة والتى تعنى هجرة ستين مليون روسي ، يعيشون خارج حدود روسيا إلى داخلها ، نتيجة تصاعد نبرة النزعة القومية الروسية المتسلطة وتصاعد النزعات القومية فى الجمهوريات تجاهها .

بل إن زيادة علو نبرة الخطاب القومى للقيادة الروسية قد يحفز بدوره الأقليات القومية فى روسيا إلى إعلان التمرد والعصيان ، وقد يؤدى إلى تفتت روسيا ذاتها . وفى الآونة الأخيرة ، يلاحظ احتدام الصراع السياسى داخل جمهوريات تتارستان وبشكيريا والشاشان الإنغوشى ذات الحكم الذاتى ، الواقعة داخل إطار روسيا الاتحادية واصطباغه بالعنف وإراقة الدماء تحت راية المطالبة بالاستقلال .

وتقف إرادة النظام الدولى الجديد فى صف المناهضين لبعث إمبراطورية روسية جديدة ، فكما ذكر « هنرى كيسنجر » فى أواخر العام الماضى : «لو تحرك الاتحاد السوفيتى نحو معاهدة كونفيدرالية جديدة فسيتحرر جيران روسيا من الخطر الذى ظل قاسماً لطبوغرافية بلدانهم منذ بطرس الأكبر» ، إن الغرب يريد لقيادات حليفة له فى الجمهوريات الإسلامية لعب دور أكبر فى إدارة شئون منظومة الدول المستقلة ، لكبح جماح التطلعات القومية الروسية[12] .

---

(١١) د. إيمان يحيى ، المرجع السابق ، ص١٤ .

(١٢) د. إيمان يحيى ، المرجع السابق ، ص١٥ .

٣ ـ التفتت والاستقلال الانشطارى

أولًا : تفتت وانهيار الجمهوريات الإسلامية :

يعنى هذا الاحتمال استمرار الحركة الاستقلالية للجمهوريات الإسلامية وامتدادها للداخل ، فى اتجاه تفتتها نفسها نتيجة صورتها الفسيفسائية العرقية والإثنية ، ولوجود نزعات قومية عديدة داخلها ، فالمجتمعات الإسلامية تتميز بتركيبة إثنية عرقية فى غاية التعقيد ، تضفى على الأوضاع الاجتماعية والسياسية بها آثاراً سلبية عديدة فكازخستان يسكنها ٤٠٪ قازاخ ٣٨٪ روس ٦٪ ألمان ٥٪ أوكرانيون ، وأوزبكستان يسكنها ٧١٪ أوزبك و٨٪ روس و٥٪ طاجيك و٤٪ كازاخ ، وقرغيزيا ٥٢٪ قرغيز و٢٢٪ روس و١٣٪ أوزبك و٣٪ أوكرانيون و٢٪ ألمان ، وطاجكستان يسكنها ٦٢٪ طاجيك و٢٤٪ أوزبك و٨٪ روس و١٪ تتار و١٪ أوكرانيون ، وتركانيا ٧٢٪ تركمان و١٠٪ روس و٩٪ و٩٪ أوزبك و٣٪ كازاخ و١٪ أوكرانيون ، وأذربيجان يسكنها ٨٣٪ أذربيجانيون و٦٪ روس و٦٪ أرمن . ورغم أن جمهورية أذربيجان هى الجمهورية الوحيدة التى نجد فيها تماسكاً عرقياً وأغلبية قومية واضحة إلا أنها لاتسلم من الصراعات الدامية فى منطقة « ناجورنوكاراباخ » ، بين الأرمن والأذربيجانيين ، وكما أن تلك الجمهورية تتميز بجغرافية عجيبة حيث إن جمهورية أرمينيا تقسمها إلى جزئين هما أذربيجان الجزء الأكبر وجمهورية ناختشيفان « ذات الحكم الذاتى » .

ويجعل هذا الوضع الفسيفسانى القومى الغريب مستقبل تلك الجمهوريات السياسى والاقتصادى محفوفاً بأخطار النزاعات القومية والعرقية ، بل إن الأعوام القليلة الماضية قد شهدت العديد من تلك النزاعات الخطيرة بين الأوستيين والانغوش فى مايو ١٩٩١م ، وبين الشاشان والأفارس فى داغستان ، وبين الأوزيك والقرغيز فى مدينة أوس بقرغيزيا فى يونيو ـ يوليو ١٩٩٠م ، وفى وادى فرغانا فى أوزبكستان فى صيف عام ١٩٨٩ .

ويصب فى طاحونة هذا الاحتمال حقيقة عدم وجود تاريخ طويل للدولة القومية فى تلك الجمهوريات فى إطار حدودها الحالية ، فلقد كان النظام السياسى فيها قبل العشرينيات يتخذ شكل الإمارات والخانات والقبائل والعشائر ، ويجعل الفرصة موائمة لهذه الفرضية فوضى الصراع السياسى السائد فى بعض تلك الجمهوريات الآن وأذربيجان ، وطاجكستان ، والحنين الجارف للمجموعات العرقية والقومية كافة إلى التعبير عن ذاتها ، إلا أن هذا الاحتمال يعنى الوقوع فى أتون الحرب الأهلية على امتداد الاتحاد السوفيتى (سابقاً) ، ولو اندلعت تلك الحرب أو الحروب الأهلية لأصبح مايجرى فى يوغسلافيا «مجرد نزهة خلوية» بالنسبة إليها ، على حد تعبير دبلوماسيين غربيين .

وتتفق إرادات المركز ـ روسيا والقوى السياسية داخل تلك الجمهوريات الإسلامية وإرادة النظام الدولى الجديد وطموحات إيران وتركيا ، على محاولة استبعاد ذلك الاحتمال بشتى الطرق . فالمؤسسات السياسية فى الجمهوريات الإسلامية ترى فى هذا الاحتمال ضياعاً

لمؤسسة الدولة القومية الحديثة التى نمت خلال أكثر من سبعين عاماً ماضية ، بل وخطراً حقيقياً يهدد التطور الاجتماعى والاقتصادى للمجتمعات الإسلامية ، ويرجعها إلى الوراء ، وستفعل الولايات المتحدة والمركز .. روسيا كل مافى وسعها لتجنب ذلك ، لأنه إذا بدأ فلن يقف عند حدود روسيا التى تحوى أكثر من مائة مجموعة وعشرة ملايين مسلم[1] .

كما أن احتمال تفتت الجمهوريات الإسلامية ، يصطدم برغبة إيران فى الحفاظ على كيانها القومى بدون أى تفتت ودون انتعاش للقوميات الداخلة فى إطارها ، والتى قد تنزع فى تلك الحالة إلى الاستقلال عنها ، أما تركيا فإنها تطمح إلى إحياء الرابطة التركية من جديد ، وبالطبع سيناقض احتمال التفتت طموحاتها ومشروعاتها المستقبلية التى تسعى إلى تحقيقها .

ويصطدم هذا الاحتمال أيضاً بواقع جمهوريتين إسلاميتين ، فأذربيجان هى أكثر الجمهوريات الإسلامية تجانساً قومياً ، حيث يمثل الأذربيجانيون ٨٣٪ من تعداد سكانها ، وكازاخستان ذات مساحة شاسعة أغلبية سكانها من السلافيين والروس والأوكرانيين وألمان ، ناهيك عن امتزاج القوميات فى مناطقها بحيث يصعب اقتصار منطقة معينة على قومية بعينها ، مما يجعل تفتت تلك الجمهورية من الداخل صعباً إن لم يكن مستحيلا[2] .

---

(١٢) د. إيمان يحيى ، المرجع السابق ، ص١١ .

(١٣) د. إيمان يحيى ، المرجع السابق ، ص١٢ .

ثانيا : انهيار روسيا :

إذا بدأ التفتت فى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز فلن يقف عند حدود روسيا التى تحوى بذاتها أكثر من مائة مجموعة عرقية ونحو عشرة ملايين مسلم يعيشون فى خمس جمهوريات للحكم الذاتى (تتارستان ـ بشكيريا ـ داغستان ـ الشاشان الغرشية أنغوشية ـ والكبردية ـ البلقارية) . إن هذا يعنى تفتت روسيا الاتحادية وتآكلها من الداخل ووقوعها فى أتون الحرب الأهلية

وهذا الاحتمال لا يوافق رغبات قادة النظام الدولى الجديد ، لأنه ينقل بارود الحروب بالقرب من أوروبا ، وربما يفسر هذا التأويل تأخر الولايات المتحدة وبريطانيا فى الاعتراف باستقلال جمهوريات البلطيق التى تتمتع بوضعية قانونية تختلف عن باقى جمهوريات الاتحاد السوفيتى (سابقا) ، لعدم انضمامها لمعاهدة الاتحاد ، حيث تم ضمها عنوة عشية الحرب العالمية الثانية ، ويرى المعلق الغربى الشهير جون بيركين ، أن المسئولين الأمريكيين والإنجليز كانوا يأملون كثيراً فى بقاء الاتحاد السوفيتى دونما تفتت ، فمن وجهة النظر الغربية يجب أن يكون الكومنولث الجديد قوياً بما يكفى للدفاع عن نفسه ، ولكن ليس بالقدر الذى يمكنه من شن هجوم خارجي وذلك لاستقرار «سلام العالم» ويؤكد هذا المعنى أيضاً وزير المال الألمانى قائلا «إن التفكك الكامل لن يكون فى مصلحة شعوب الاتحاد السوفيتى أو فى مصلحة الدول الغربية» .

١ ـ أثر انهيار روسيا على الأمة الإسلامية :

يمكن تصور هذا الأثر من خلال احتمالين[١٤] :

الأول : أن تتهيأ الظروف الدولية بشكل ما ، وأن تصبح روسيا على وشك الانهيار فتقوم ثورة شيوعية جديدة يكون من آثارها عودة الهيمنة الماركسية على هذه البلدان الإسلامية من جديد .

ويقوى هذا الاحتمال أن الكوادر الشيوعية فى هذه البلدان لاتزال فى مراكز الحكم أو بالقرب منها ، فيسهل عليها الوثوب على السلطة وممارستها لكن الغرب تحسب لهذا الاحتمال ، ولاهم له إلا الحيلولة دون وقوعه .

الثانى : عدم استطاعة الغرب وقف الانهيار السريع ، وغير المحكوم للاتحاد الروسى ، فتكون فوضى عارمة تسود أوربا ، وربما كل الكرة الأرضية ، وهنا يمكن تصور ثلاثة أمور :

الأول : أن تسود هذه الجمهوريات اضطرابات وحروب أهلية على أساس عقدى وعلى أساس عرقى . وقد يؤدى إما إلى تمزق هذه البلدان إلى دويلات ، وإما إلى انتصار فئة ما «الإسلامية ــ أو الشيوعية» ، فتوحد هذه البلدان فى كيان واحد .

الثانى : أن تتمكن كل من تركيا وإيران ــ متعاونتين أو منفصلتين من أن تلعب دور الدولة النواة عوضاً عن روسيا ، فتجذب

---

(١٤) انظر د. فوزى طايل ، «آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية» مرجع سابق ، ص٢٥٣ .

إليها هذه الجمهوريات أو بعضها أو مابقى منها فى يد الإسلاميين أو العلمانيين .

الثالث : أن يمتد الاضطراب إلى مايسمى بمنطقة الشرق الأوسط ، فتكون ثورة إسلامية شاملة وعامة ، تسير فى اتجاه وحدة الأمة ، أو أن تتفاقم النزعات العرقية بداخل الأمة الإسلامية بدعم من الغرب ، فتظهر كيانات جديدة كدولة الأكراد ، ودولة أذربيجان التى تستقطع من إيران ، وغير تلك الكيانات التى تموج تحت السطح .

ووسط هذا كله فإن الصراع « الأرمينى والآذرى » قد بلغ درجة من الخطورة توحى باحتمال نقل ميدان تصفية أعداء « النظام الدولى الجديد » إلى هناك على أرض أذربيجان من خلال احتمالات جر إيران إلى حرب مع أرمينيا التى وصلت جيوشها بالفعل إلى الحدود الإيرانية .

وأن تقوم روسيا ، ومن ورائها النظام الدولى بدعم أرمينيا فى محاولة لضرب إيران من الاتجاه الاستراتيجى غير المتوقع ، أسوة بما تم مع العراق ، وماتم فى البوسنة والهرسك[١٥] .

وفى هذه الحالة لن تكون تركيا ـ رغم عضويتها ـ فى حلف شمال الأطلنطى بعيدة أن تلقى نفس المصير ـ فتتورط روسيا فى مثل هذا الصراع بهدف التخلص من القوتين الإسلاميتين الكبيرتين « إيران وتركيا » ، وقد تكون هذه فرصة مواتية لحرب توسعية جديدة تشنها إسرائيل لتحريك حدودها تنفيذاً لمشروعها الصهيونى .

---

(١٥) انظر فوزى طايل ، مرجع سابق ، ص٢٥٤ .

وأيا كان الأمر فرفع الأخطار والتهديدات لا يكون بالتمنى ، كما أن التوقعات والحسابات البشرية ليست هى الحاسمة فى هذا المجال أيضاً ، فقد يسبق قدر الله ، فتكون مشيئة مالك الملك ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[١٦] .

٢ ـ أثر انهيار روسيا على الغرب :

تصاعدت مخاوف خبراء الاقتصاد فى العالم الغربى من احتمالات انهيار اقتصادى عام نتيجة لتدهور الأوضاع فى روسيا ، وحذروا من أن انهيار الاقتصاد الروسى يهدد بسقوط باقى دول العالم الصناعى الكبرى إلى نفس المصير .

ففى حالة انهيار الاقتصاد الروسى ، ستتجه ألمانيا حتماً إلى رفع نسبة العائد على المارك الألمانى ، مما سينتج عنه اتجاه أوروبا كلها إلى كساد اقتصادى أكبر وأعمق يعقبه هروب عالمى إلى الدولار ثم إعادة النظر فى سياسة خفض الإنفاق العسكرى .

ولكن المعضلة التى تواجه الدول الصناعية الكبرى السبع هى أنها تواجه خطر الانهيار الاقتصادى لا محال سواء حاولت تلك الدول مساعدة روسيا للخروج من أزمتها أم امتنعت عن ذلك .

فإن فكرة مساعدة روسيا على الخروج من أزمتها الاقتصادية يشكل عبئاً ضخماً على دول الغرب بسبب تزايد العجز فى ميزانية جميع الدول ..

---

(١٦) سورة يوسف : الآية ٢١ .

ففى بريطانيا أعلن « نورمان لامونت » وزير الخزانة أن العجز فى الميزانية البريطانية قد يتجاوز ٥٤ مليار جنيه استرليني ، ذلك بينما يناضل الرئيس الجديد كلينتون فى محاولات مستميتة لخفض العجز الذى تعانى منه الميزانية الأمريكية .

كما أن تقديم مساعدات إلى روسيا كما يطالب كلينتون قد يدفع العالم الغربى إلى تزايد معدلات التضخم إلى أسوأ مستوى لها ، وصفها « أوليام هيوستن » صاحب كتاب نقطة الذوبان بأنها بمثابة « انفجار فى التضخم » .

وأخيراً فإن انتشار الكساد الاقتصادى فى الغرب قد دفع الحكومات إلى الدعوة إلى الانعزال الاقتصادى ، وشجع على تفجر الصراعات بين القوى الاقتصادية الإقليمية . وكان نتيجة ذلك هزيمة الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش فى الانتخابات الرئاسية بعد اتهامه بالاهتمام بالسياسة الخارجية أكثر من اهتمامه بالداخل .

وهكذا إن الاقتصاد العالمى لا ينبىء بالخروج من أزمته فى المستقبل القريب فالجميع يعانى من اقتصاد ضعيف (مصاب بالأنيميا) ومن عجز فى الميزانية وتزايد الديون الحكومية وارتفاع نسبة البطالة .

ونتيجة لذلك فإنه ليس هناك أى أمل فى أن تستطيع أى دولة صناعية كبرى وحدها انتشال روسيا من أزمتها وإنقاذها من الانهيار الكامل .

وفى حالة عدم مساعدة روسيا ، فإن الخطر الأول الذى سيهددها هو عودة النظام الشيوعى .

وهنا ستضطر الدول الأوروبية ـ مرة أخرى ـ إلى زيادة الإنفاق العسكرى لمواجهة الخطر الجديد وعودة الحرب الباردة ، وذلك لن يؤدى إلا إلى الإسراع بالانهيار الغربى .

وهكذا يعانى الاقتصاد العالمى من مستقبل غير مشرق .

فقد بدأت الولايات المتحدة تشهد بوادر تباطؤ فى معدلات الإصلاح الاقتصادى فيها بينما انخفضت ثقة المواطن الأمريكى فى إدارته الجديدة بعد أن دعا الرئيس كلينتون إلى زيادة الضرائب عليه

وفى اليابان ، يحذر الخبراء من أن زيادة الديون الحكومية فيها يهدد بارتفاع العجز فى ميزانيتها ليبلغ ٥٨ مليار دولار ، وذلك رغم أنها تتمتع بفائض تجارى كبير مع الولايات المتحدة .

أما أوروبا الغربية ، فإن سياسة البنك المركزى الألمانى بالاحتفاظ بمعدلات فائدة عالية قد دفع دول السوق الأوروبية بما فيها ألمانيا إلى كساد عام ، وزيادة البطالة فى جميع دول السوق لتصل إلى ١٦ مليون شخص . كما تواجه بريطانيا نفس المصير فى العام المقبل إذا قررت الانضمام للنظام النقدى الأوروبى بناء على نص معاهدة « ماستريخت » للوحدة السياسية والنقدية .

وهكذا تستمر الأزمة فى الغرب ، ويصبح أمامها أمل ضعيف فى إنقاذ القليل وذلك عن طريق وقف الاتجاه إلى العزلة الاقتصادية ، ومحاولة تفادى حرب تجارية بدأت بالفعل تشتعل بين الولايات المتحدة ودول السوق الأوروبية .

إن المستقبل فى نظر خبراء الاقتصاد العالميين ليس باهراً ، وفرحة الانتصار فى الحرب الباردة على النظام الشيوعى سرعان ما خفتت ليحل محلها خوف عميق من انهيار اقتصادى شامل .

ويرى الخبراء أن هذا الوضع هو نتيجة أن العالم يمر بتغيرات جذرية فى الأسس السياسية والاقتصادية والاجتماعية فيه ، ويجرى فيه تحول كبير فى القوة العالمية ، حيث يسقط نظام عالمى قديم ، بينما يولد نظام عالمى آخر لا يزال غير واضح وغير مستقر .

ويتوقع الخبراء أن يأتى الأمل الوحيد فى إنقاذ الاقتصاد العالمى فى صحوة اقتصادية قادمة من آسيا ، خاصة من الصين ودول جنوب شرق آسيا المعروفة باسم النمور الأربعة .

لقد بدأت هذه الصحوة تتبلور حاليا فى تقدم معدلات النمو الاقتصادى فى الصين بشكل سريع ، وزيادة التصنيع فى دول المحيط الهادى ، وتحول الاستثمارات الغربية إلى هذه المنطقة .

فهل يمر الاقتصاد العالمى بدورة جديدة يسطع بعدها نجم القارة الآسيوية العملاقة .؟

٤ ـ استمرار الإطار الكونفيدرالى الواسع

يعنى هذا الاحتمال استمرار منظومة الدول المستقلة (الكومنولث الجديد) وتطورها كإطار كونفيدرالى واسع يديره مركز موسكو ، ذو

(١٦) الأهرام القاهرية ، ١٩٩٣/٣/٣٠ نقلا عن صنداى تلجراف .

قيادة جماعية تتمثل فيها تلك الجمهوريات برؤسائها . ويحقق هذا الإطار الكونفيدرالى هدفين :

أولهما : تكامل الاقتصاد ووحدة السوق فى دول المنظومة فى إطار اتحاد اقتصادى شبيه بالسوق الأوربية المشتركة ، مع وضع سياسة دفاعية متكاملة لا تسمح بتفتت الثقل الاستراتيجى والنووى للاتحاد السوفيتى (سابقاً) .

وثانيهما : أن تتمتع تلك الجمهوريات بشخصيتها القومية المستقلة ، وأن تستغل مواردها لمصلحة شعوبها ، فى إطار خطط تنموية تضعها مؤسسات الحكم فيها ، وأن يصبح لكل منها جيشه الوطنى الصغير لحفظ الأمن داخلها ، وللمرابطة على حدودها ، ولإشباع الروح القومية لدى شعوبها .

وتسير الأحداث فى هذا الاتجاه ، رغم بروز بعض العقبات من حين إلى آخر ، تلك العقبات التى تتمثل فى المحاولات الروسية للهيمنة والسيطرة ، والتى تقابل بمزايدات قومية من الناحية الأخرى أحياناً . وبالفعل فقد تحول «الاتحاد السوفيتى» فى بداية العام الحالى إلى «كومنولث فضفاض» باسم «أسرة الدول المستقلة» يديره مجلس لقادة تلك الدول . وفى هذا الإطار تتمتع الجمهوريات الإسلامية حالياً بإمكانية إدارة سياسة خارجية فى إطار جغرافى إقليمى يمتد إلى آسيا والهند والصين وكوريا ، والدول الإسلامية الأخرى (إيران وتركيا) ،

وإسرائيل والدول العربية ، وقد شهدت الفترة الأخرى نشاطاً دبلوماسياً متميزاً لتلك الجمهوريات فى هذا الإطار[١٧] .

استمرار إطار الكونفدرالية وتطوره هو الأقرب إلى مقتضيات الواقع لما يلى :

أولا : اتفاق إرادات الجمهوريات الإسلامية وروسيا والولايات المتحدة والغرب على تحقيقه .

ثانياً : استحالة الانفصال التام لتلك الجمهوريات عن الاتحاد السوفيتى سابقاً لما يلى :

١ ــ أن النخب الشيوعية التى كانت تحكم البلاد قبل انهيار الشيوعية ، مازالت هى التى تهيمن على مقدرات الجمهوريات الإسلامية خصوصاً ، حتى اللحظة الراهنة ، بعضهم غير اللافتة واستبدل عنواناً بعنوان ، وبعضهم ظل كما هو معلنا عن نفسه بذات العنوان وذات الوجوه ، ومن ثم فنحن نقع فى مبالغة نسبية عندما نتحدث عن سقوط النظام الشيوعى ، لأن ذلك الوصف ينطبق على روسيا بالدرجة الأولى ، حيث سقط المشروع وسقطت رموزه ، وحظر نشاط الحزب . أما فى الجمهوريات الإسلامية فقط فقد سقط المشروع حقاً ، ولكن رموزه وكوادر حزبه مازالت باقية ، وما تغير حقاً فى تلك

---

(١٧) د. إيمان يحيى ، احتمالات التطور السياسى المستقبلى للجمهوريات الإسلاميةالسوفيتية ، مجلة شئون سوفيتية ، المرجع السابق ص١٢ ــ ١٣ .

الجمهوريات هو المناخ العام والحريات التى أطلقت بدرجات متفاوتة[18].

إن روسيا برغم كل ما تعانيه من مشكلات داخلية ، ليست غائبة عن وسط آسيا كما يتوهم البعض ، ولكنها موجودة ومؤثرة على أربعة مستويات على الأقل وهى :

(أ) فهناك الجيش الروسى لايزال مرابطاً على حدود كل جمهورية وفى أرضها ، وإن وصف بأنه جيش « دول الكومنولث » بل إن بعض وحدات ذلك الجيش تجاوز وجودها الحدود وانتشرت فى الداخل لحماية المرافق الحيوية فى البلاد كما حدث فى طاجكستان .

(ب) وهناك جهاز الأمن (الكى جى بى) الذى لايزال قائماً ونشطاً ومتابعاً لكل ما يجرى فى تلك الجمهوريات ، وإذا كان الاتحاد السوفيتى قد انهار ، فإن شبكة مخابراته السرية مازالت موجودة ، وتباشر أنشطتها فى مختلف الجمهوريات بصورة أو بأخرى .

(جـ) هناك النخب الروسية التى جرى زرعها فى مختلف الجمهوريات ، وتولت احتكار جميع الوظائف العليا فيها ، على المستويات الإدارية والسياسية والفنية ، ومن ثم فكل الأجهزة الفاعلة والأعصاب السياسية فى البلاد لاتزال تحت الهيمنة الروسية ، أما الكوادر المحلية فقد كانت فى الماضى محجوبة عن تلك المواقع ، وتحتاج إلى وقت طويل لتصبح مؤهلة لشغلها .

---

(١٨) فهمى هويدى ، طاجيكستان حرب ضد التاريخ ، مجلة المجلة العدد (٦٧٧) ، ٢٧/١ ـ ١٩٩٣/٢/٢

(د) إن اقتصاد تلك الجمهوريات لا يزال محكوماً بالسياسة الروسية ابتداء من النقد الذى يصدر فى موسكو ، وانتهاء بالمشروعات القائمة على التكامل ، والتى تعجز كل جمهورية عن النهوض بها منفردة ، حيث المشروع الواحد موزع على عدة جمهوريات ، و« المايسترو » الذى يضبط عملية الإنتاج قابع فى موسكو ، وبمقدوره أن يحرك أى صناعة أو يصيبها بالشلل إذا أراد[١٩] .

ومن أمثلة التشابك الاقتصادى بين روسيا الاتحادية والجمهوريات الإسلامية :

١ ـ جنوب كازاخستان يستخدم الكهرباء المولدة فى جمهورية قرغيزيا .

٢ ـ شمال كازاخستان مرتبط بمصادر الطاقة فى سيبيريا .

٣ ـ تركمانستان ترسل جزءاً من نفطها إلى جمهورية روسيا الاتحادية ولا يرد إليها المقابل من العملات الحرة وكذلك تستقبل تركمانستان النفط الخام من سيبيريا ليعامل فى مصانع تكرير النفط بها .

٤ ـ وسائل المواصلات المختلفة تربطهم بموسكو ولا تربطهم بالدول الإسلامية حولهم مثل إيران وتركيا .

٥ ـ ليس لهذه الجمهوريات الإسلامية ـ رصيد فى أى بنك فى أى دولة فى العالم وليس لهم أرصدة فى بنك موسكو أيضاً .

---

(١٩) فهمى هويدى «طاجيكستان حرب ضد التاريخ ، مجلة المجلة العدد (٦٧٧) ، ١/٢٧ـ١٩٩٣/٢/٢م .

والسؤال الذى يفرض نفسه :

كيف يستقيم وضع هذه الجمهوريات الست اقتصادياً ؟

٦ ـ ترسل جمهورية أوزبكستان ماتنتجه من قطن أو ذهب إلى موسكو وتعتبر الأخيرة ان هذا دعم للمشروعات الروسية .

٧ ـ الاقتصاد الصناعى شمال جمهورية كاراخستان مرتبط تماماً بجنوب سيبيريا أكثر من اتصاله بجنوب كازاخستان الزراعى .

ومما تجدر الإشارة إليه أن جمهورية كازاخستان فى موقف حرج بالنسبة إلى استقلالها فإنها لا تقوى على قطع الصلة بجمهورية روسيا الاتحادية ونصف سكانها من العناصر السلافية . وتربط جمهورية روسيا عجلتها بالعجلة القازاخية بالقول بـ« المصالح المشتركة بين الجمهوريتين »[٢٠] .

ويؤكد هذا المعنى أو لجامس عمروفيتش « أكبر أدباء كازاخستان » بقوله « إننا نرتبط بروسيا أكثر من ارتباطنا بأية دولة أخرى بما فى ذلك دول آسيا الوسطى ، ولو ساء الوضع بروسيا فإنه سيؤثر علينا ، والملاحظ أن سيارة روسيا تسير متنقلة من حفرة لأخرى ومن مطب إلى مطب آخر » ..[٢١] .

---

(٢٠) د. محمود طه أبوالعلا ، الآثار الاقتصادية والاجتماعية لنهرى سيحون وجيحون ، المرجع السابق ، ص٥٩ .

(٢١) انظر عبدالملك خليل ، الأهرام القاهرية ، ١٩٩٣/٣/٦ .

ثالثاً : إن الكلام عن الاستقلال فى تلك الجمهوريات سابق لأوانه فى الواقع ، وغاية ما يمكن أن يقال بصددها أن باب النضال أمام شعوبها لنيل الاستقلال قد انفتح ، وعلى تلك الشعوب أن تواصل النضال ضد الهيمنة الخارجية والاحتكار الداخلى حتى تفوز باستقلالها فى نهاية المطاف ، بعد أجل قد يطول أو يقصر[٢٢] .

وما معنى الاستقلال السياسى بدون استقلال اقتصادى بعيد المنال ؟ والجمهوريات الإسلامية تخشى العزلة الاقتصادية وتضع نصب أعينها دوماً أن تظل علاقاتها قائمة مع جمهورية روسيا ، وتتجنب كل عمل يؤدى إلى قطع العلاقة معها رغم المتاعب الاقتصادية والسياسية التى تسببها لها[٢٣]

---

(٢٢) فهمى هويدى ، المرجع السابق .

(٢٣) د. محمود طه أبوالعلا ، المرجع السابق ، ص٥٩ .

المبحث الثالث

تكوين نظام إقليمي إسلامي
يشمل الجمهوريات الإسلامية وكلا من :
(تركيا وإيران والعرب)

بداية نوضح ارتباط «النظام الإقليمي» بموضوع «النظام العالمي» خاصة بعد التطورات التي كان من أهم معالمها حرب الخليج عام ١٩٩١م ، وانهيار الاتحاد السوفيتي وتفكك جمهورياته ، وانفراد الولايات المتحدة بزعامة النظام العالمي الجديد . تتخذ الترتيبات لإذكاء النزعات العرقية والطائفية والدينية سعياً إلى مزيد من التفتيت للمنطقة العربية والإسلامية ، وحرمانها من الاستفادة من المعطيات الجديدة التي جاءت نتيجة حصول الجمهوريات الإسلامية لآسيا الوسطى والقوقاز على استقلالها ، وإجهاض أي محاولة لاستثمار هذه الكتلة الإسلامية الجديدة يتم التركيز على النظام الإقليمي الشرق أوسطي ، مع اعتبار شرق ووسط آسيا منطقة خاصة بنفسها مما يعني تجزيء العالم الإسلامي ، وتوزيعه على نظم إقليمية بعيداً عن معيار الإسلامية[٢٤] .

(٢٤) د. نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ص٢٠١ .

مفهوم «الشرق الأوسط» :

مفهوم «الشرق الأوسط» هو مفهوم ذو دلالات سياسية أكثر من أنه يشير إلى منطقة جغرافية بعينها ، كما أن دلالة «الأوسطية» فيه أنها دلالة تتحدد بالموقع من الغير ، وليس من خصائص ذاتية تنبع من المنطقة التى يشير إليها المفهوم .

والدلالات السياسية التى يحملها هذا المفهوم تخدم مآرب مصلحية معينة أكثرها خطورة على المنطقة تلك الدلالة التى تركز على أنه يضم خليطاً من التكوينات المتباينة ، ولا يعبر عن وحدة من أى نوع ما ، فيتحقق من وراء ذلك هدفان رئيسان[٢٥] :

الأول : استبعاد قيام تكوينات أو نظم إقليمية أخرى على أساس نوع من التوحيد ، أو الاشتراك فى عناصر ثقافية أو حضارية معينة حيث يتم التركيز على التنوع والتعدد الذى تعرفه هذه المنطقة .

الثانى : وهو الأهم حيث يتم تهيئة التربة والمناخ ، وإيجاد القبول والتبرير للوجود الصهيونى فى المنطقة باعتباره أحد صور هذا التنوع والتعدد ، فهو انطلاقاً من هذه النظرة لا يمثل نشازاً طالما أن طابع المنطقة كلها هو التعدد والتنوع ، ومن هنا تتم معارضة أى فكرة تعبر عن وحدة ثقافية أو حضارية تجمع بين شعوب هذه المنطقة ، ويتم تشجيع كل ما يمكن أن يؤدى إلى تفتتها وتجزئتها إلى دويلات على أسس عرقية أو

---

(٢٥) معهد الشرق الأوسط بواشنطن يحدد المنطقة التى يشملها مفهوم الشرق الأوسط بحيث يجعلها تتطابق مع العالم الإسلامى أى من المغرب إلى أندونيسيا ، ومن السودان إلى أوزبكستان .

دينية أو غيرها ، طالما أن هذا العمل يخدم فى النهاية الكيان الصهيونى المزروع فى قلب هذه المنطقة .

وبعد حرب الخليج الثانية أفسح المجال أمام المفهوم الشرق أوسطى النظام الإقليمى لأنه يخدم فى اتجاهين :

الأول : يهيأ لتطبيع العلاقات بين إسرائيل ودول المنطقة وإدماجها جميعاً كأعضاء فى نظام إقليمى واحد .

الثانى : عرقلة أى محاولة «لأسلمة» هذه المنطقة فى إطار نظام إقليمى إسلامى يستوعب الجمهوريات الإسلامية المستقلة حديثاً فى آسيا الوسطى والقوقاز[٢٦] .

مفهوم العالم الإسلامى :

مفهوم العالم الإسلامى : هو مفهوم حضارى يعبر عن امتداد تاريخى للمسلمين كأمة عبر قرون من الزمان ساد فيها الإسلام واتسع ودخل أرجاء شتى من المعمورة .

والبعد الجغرافى للعالم الإسلامى يبدو فى شكل قوس يبدأ بجناح أيسر عريض فى إفريقيا وينتظم غرب آسيا ووسطها وينحنى فى جنوب آسيا وجنوبها الشرقى ، ويسميه دكتور جمال حمدان «هلال الإسلام» الذى يشمل الوطن العربى وإفريقيا المدارية ومن البلقان حتى باكستان ومن الفولجا حتى سبنكيانج فى قطاعه الغربى ، كما يشكل فى قطاعه الشرقى

---

(٢٦) د. نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص٢٠٢ ، ٢٠٣ . انظر أيضا د. على الدين هلال ، جميل مطر ، مرجع سابق ، ص٣٠ ، ٣١ .

شبه جزيرة الهند وبنجلاديش وجنوب شرق آسيا ويتميز هذا الموقع الجغرافى للعالم الإسلامى بأهميته الاستراتيجية على صعيد كوكبنا[٢٧] .

ومفهوم العالم الإسلامى الذى تأخذ به رابطة العالم الإسلامى بوصفها منظمة شعوب إسلامية يشمل الوجود الإسلامى كله «أى أرض يعيش عليها أغلبية مسلمة» بصرف النظر عما إذا كان هذا الوجود يتم داخل دولة إسلامية أم لا أى أنه يشمل الدول والأقليات الإسلامية وعلى سبيل المثال يشمل مسلمى إقليم كشمير ، وإقليم تركستان الشرقية فى الصين .. الخ .

أما مفهوم العالم الإسلامى لدى منظمة المؤتمر الإسلامى فيشمل الدول التى تعلن فى دستورها أنها دول إسلامية .

ومفهوم الدولة ككيان سياسى وقانونى ، يعنى جماعة من الناس يعيشون على أرض محددة ويخضعون لسلطة سيادية معينة . أما معيار الإسلامية فيقصد به أن تُعرف الدولة نفسها إزاء العالم الخارجى ، وتنظم علاقاتها الدولية بوصفها دولة إسلامية . ومنظمة المؤتمر الإسلامى هى : «التنظيم الدولى الحكومى الشامل الذى يضم الدول التى اختارت أن تعرف نفسها بأنها دولة إسلامية طبقاً لميثاق مكتوب يحدد التزامات وحقوق الدول تجاه بعضها والبعض الآخر .

---

(٢٧) انظر د. نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص ٢٠٤ ، وانظر أيضا د. أحمد صدق الدجانى ، «التضامن الإسلامى وإمكانية قيام نظام إقليمى فى العالم الإسلامى» ، ندوة العالم الإسلامى والمستقبل ، مركز دراسات العالم الإسلامى ومركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة : ١٣ ـ ١٩٩١/١٠/١٧م ص١٥ .

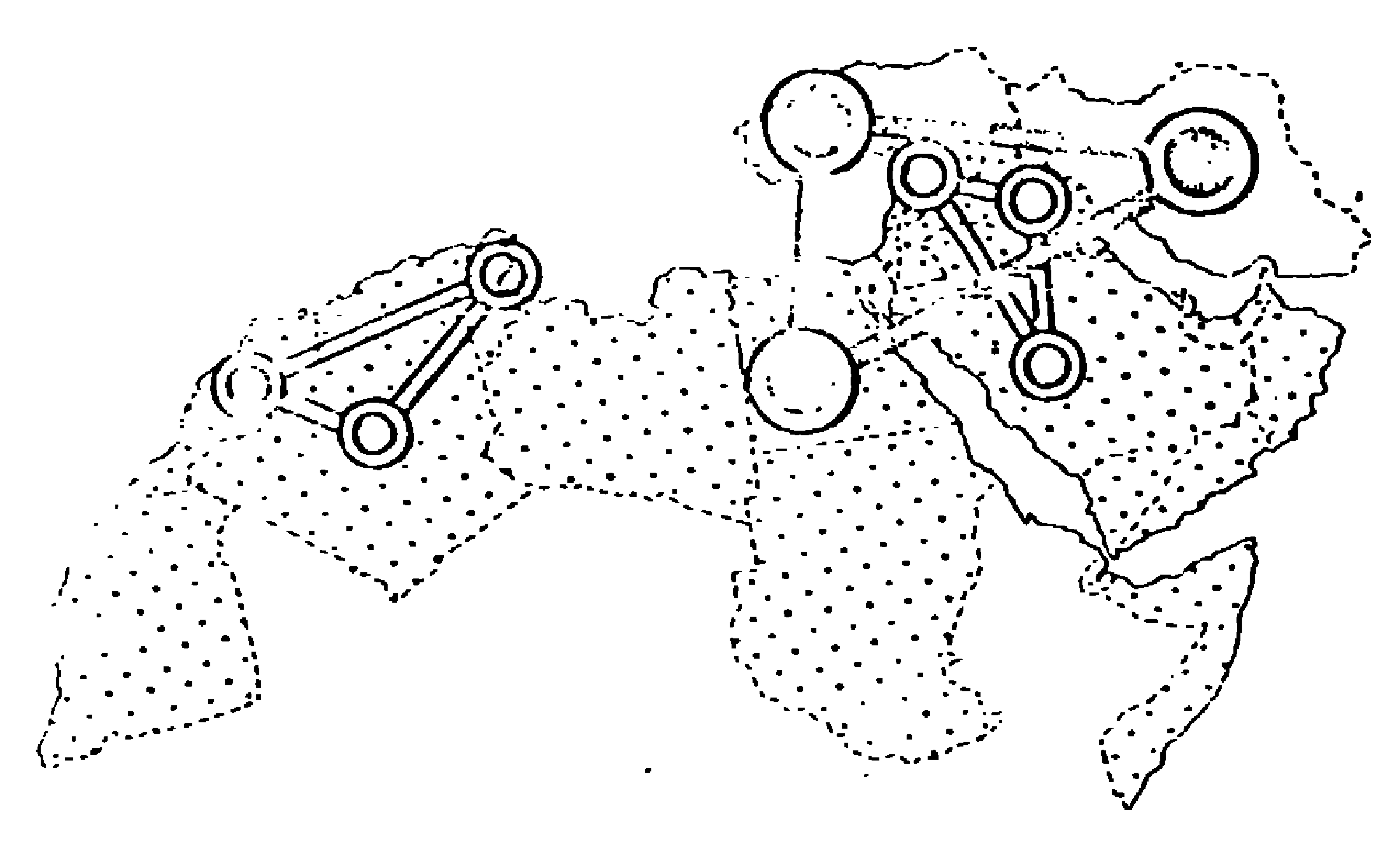
مثلث القوة الإقليمى الإسلامى :

تمثل إيران ـ تركيا ـ مصر ما يسمى «مثلث القوة الإقليمى» فى الشرق الأوسط كما جاء فى تحليل د. جمال حمدان ، وهو نفس مثلث القوة الإقليمى للنظام الإقليمى الإسلامى باعتبار أن منطقة الشرق الأوسط ومنطقة العالم الإسلامى تمثلان نفس المنطقة الجغرافية إلا أننا[٢٨] وسعنا من الضلع الثالث فى هذا المثلث ليشمل «العرب» وعلى وجه الخصوص : مصر والسعودية ونلاحظ أنه حينما كانت مصر تتمتع بتوازن بين مقدراتها ومكانتها كان العالم العربى يتمتع بقيادة إقليمية ، أما الآن وبعد أن توزعت المقدرات بين الدول العربية بحيث لا يحوز أحدهما قدراً يسمح له بالانفراد بالقيادة فإن هذا قد أضعف من النظام العربى ، إلا أنه تظل لمصر نظراً لاعتبارات كثيرة ، منها موقعها فى قلب الوطن العربى قدرة على القيام بهذا الدور[٢٩] .

---

(٢٨) د. نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص

(٢٩) انظر فى تحليل جمال حمدان لمثلث القوة الإقليمى : د. جمال حمدان ، استراتيجية لاستعمار والتحرير ، (بيروت ـ القاهرة : دار الشروق ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ص٤١٦ ، وانظر تحليلا لمكانة مصر الإقليمية وعنصر القيادة فى النظام العربى فى : د. محمد لسيد سليم ، «مفهوم التوازن الدولى وتطبيقاته الإقليمية» ، مرجع سابق ، ص١٧١ ، ١٧١ .



"مثلث القوة الإقليمى" - إيران - تركيا - مصر (العرب).

الافتراض الأول : هذه المنطقة ذات أهمية هامشية :

يقوم هذا الافتراض على التدعيم بعدد من الدلالات الجغرافية والتاريخية لهذه المنطقة :

(أ) الناحية الجغرافية :

نجد أن الدكتور جمال حمدان تصور العالم الإسلامى فى شكل دائرة كبيرة تضم بداخلها عدة دوائر كالحلقات وعددها ست ، وحدد الأهمية النسبية لكل دائرة على أساس معايير خمسة وهى : عمر الإسلام ، كثافة المسلمين السكانية ، ونوعية التدين ، ونسبة العرب واللغة العربية فيها .

وبناء على ذلك احتل الوطن العربى قلب الدائرة ومنطقة القوة والمركز . وتتابعت الحلقات بعد ذلك لتمثل ظلا ، ثم شبه ظل للعرب ،

وجاءت منطقة آسيا الوسطى فى الحلقة الخامسة وهى تمثل : آسيا الوسطى وباكستان وجنوب شرق آسيا وشرقى إفريقيا[٣٠] .

(ب) الناحية التاريخية :

إن منطقة آسيا الوسطى بمفردها لم يكن لها أهمية استراتيجية إقليمية فى حد ذاتها وإن تلك الأهمية والتأثير لم يتحققا لها إلا عندما ارتبطت بمراكز التأثير والحياة فى البلاد الإسلامية الرئيسية ـ إيران والعراق والشام ومصر ، وأنه منذ بدايات التاريخ الحديث أصبح تاريخ آسيا الوسطى تاريخاً محلياً[٣١] .

وهناك من يعارض الرأى الشائع فى أن مستقبل آسيا الوسطى يقع ضمن عالم يوجهه الإسلام جغرافياً وسياسياً ، ويرى أن مستقبل تلك المنطقة يرتبط أكثر بروسيا وبالحقبة السوفيتية التى دامت سبعين عاماً ، ونقلت هذه المنطقة من الإقطاع والتقليدية إلى الحضارة الحديثة ، والمنطقة لاتسمى وسطى بالنسبة لآسيا فقط بل إنها كذلك بالنسبة لأوراسيا ، كما أن النخب الحاكمة فى هذه البلاد فى ظل وعيها بكم المشاكل الهائلة التى تواجهها فى التنمية والتحديث والأمن فضلا عن الصراعات العرقية ومشكلات الحدود كانوا حريصين على الابقاء على

---

(٣٠) انظر د. أحمد صوفى الدجانى ز مرجع سابق ص١٦ ـ د. نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ص٢٠٦ .

(٣١) انظر د. مصطفى علوى « الانعكاسات الإقليمية والدولية لاستقلال الجمهوريات الإسلامية الجديدة فى آسيا الوسطى والقوقاز » مجلة الفكر الاستراتيجى العربى ، (بيروت : معهد الإنماء العربى) ، العدد ٤٠ ـ إبريل ١٩٩٢ ص٥٨ .

روابطهم بروسيا ، ويبدو هذا فى مسارعتهم للاشتراك ضمن الكومنولث .

كما يواجه مسلمو آسيا الوسطى والقوقاز عالماً إسلامياً منقسماً على نفسه تتصارعه نماذج متعارضة ومتصارعة ، وإذا أضيف الانقسام المذهبى الإسلامى إلى الانقسام العرقى . ويخلص إلى نتيجة فى غاية القتامة حيث يقول : «وفى ظل الوضع المعقد واختلاف المصالح السائدة فى آسيا الوسطى ، فإن مستقبل الاتجاه الجغرافى السياسى الذى يعمل لصالح الإسلام ، مظلم»[٣٢] .

ونرد على ذلك :

ـ ان منطقة آسيا الوسطى والقوقاز قدمت وحدها للحضارة الإسلامية عدداً من أشهر وأعظم علمائها .

ـ كما أن سبعين سنة من القسوة المتناهية فى محاربة الأديان لم تستطع أن تنزع الإسلام من هذه المنطقة ، بل إن الإسلام اتخذ بعداً أكثر من كونه ديناً فقد أصبح ديناً وقومية ورمزاً لهوية حاولت شعوب هذه المنطقة الحفاظ عليها عبر الأجيال إلا أن هناك جوانب سلبية على قدر كبير من الخطورة منها :

(٣٢) انظر : ب . ستوبدان ، « آسيا الوسطى منطقة ذات أهمية هامشية فحسب » مجلة التحليل الاستراتيجى (فصلية شهرية ـ تصدر من معهد تحليلات ودراسات الدفاع الهندية) ، المجلد (١٤) العدد (٨) نوفمبر ١٩٩١م ، انظرها فى روسيا وآسيا الوسطى والعرب « مجموعة قراءات » أعدت لندوة روسيا وآسيا الوسطى والعرب بالقاهرة ٢٦ ـ ٢٨ إبريل ١٩٩٣م (مركز البحوث والدراسات السياسية جامعة القاهرة ، ص٢٦٧ ـ ٢٧٩ ، انظرها : نيفين عبدالخالق ، مرجع سابق ، ص٢٠٧ .

(أ) أن مسلمي آسيا الوسطى ليس لديهم فهم حقيقى للإسلام ، وهذا يتطلب تحركاً سريعاً من الدول الإسلامية لملء هذا الفراغ الدينى والحضارى والثقافى .

(ب) مازال الشيوعيون يسيطرون على السلطة ويستخدمون وسائل الإعلام من إذاعة وتليفزيون وصحافة لمحاربة الإسلام ، وإظهار أن الإسلام يهدد الحضارة ، وتصوير الصحوة الإسلامية فى صورة العدو من أجل إثارة مخاوف الغرب من امتداد الصحوة الإسلامية للمناطق الشاسعة التى تتاخم أفغانستان وإيران .

وهكذا نرى أن التوقعات المتزايدة التى أثارها استقلال هذه الجمهوريات واحتمالية تكوين كتلة إسلامية فاعلة فى المحيط الدولى لاينبغى أن تؤخذ بهذا الشكل المبسط ، فالصراع بين الشيوعية والإسلام فى هذه المنطقة لم ينته بعد ، بل على العكس لقد دخل مرحلة جديدة قد تكون منطقة آسيا الوسطى والقوقاز المسرح الأساسى لها .

الافتراض الثانى :

وهو الذى يرى أن هذه المنطقة فى التقائها مع الدول الإسلامية الكبرى الواقعة ضمن إطارها الإقليمى يمكن أن تخلق كتلة إسلامية أو تكون نواة لنظام إقليمى إسلامى[٣٣] .

بداية الاهتمام بآسيا الوسطى لم يحدث فجأة ، بعد تفكك الاتحاد السوفيتى واستقلال الجمهوريات الإسلامية ، وإنما اتجهت الأنظار إلى مسلمى آسيا الوسطى والقوقاز من قبل هذا الوقت وبالتحديد منذ

---

(٣٣) د. نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص ٢١١ .

الثورة الإسلامية فى إيران . فمنذ ذلك الحين والخوف من أن يتحول الإسلام إلى قوة سياسية موحدة للمسلمين فى آسيا الوسطى وفى مناطق أخرى من العالم أصبح هاجساً قوياً يقلق الغرب ويقلق الشرق على السواء[٣٤] .

ولذلك كانت إيران هى المرشحة رقم واحد للاستفادة من انهيار الاتحاد السوفيتى .

١ ـ إيران والنظام الإقليمى ومسلمو آسيا الوسطى والقوقاز :

هناك عدد من العوامل والمتغيرات الدولية والإقليمية هيأت لإيران الفرصة المناسبة للعب دور إقليمى يشبع طموحاتها . ويمكن أن تحدد هذه العوامل والمتغيرات على النحو التالى :

(أ) ما ترتب على حرب الخليج الثانية من تدمير القوة العسكرية للعراق .

(ب) انهيار الاتحاد السوفيتى واستقلال الجمهوريات الإسلامية .

(جـ) ما تتمتع به إيران من ثقل ، ومكانة إقليمية وعسكرية يمكنها من أن تشارك بفاعلية فى ترتيبات الأمن الخاصة بمنطقة الخليج .

(د) الفراغ الإيديولوجى الذى أحدثه انهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط نموذجه التطبيقى فى الاتحاد السوفيتى .

ولتحقيق هذا التصور اتخذت إيران بالفعل عدة خطوات فى الجبهتين اللتين تحاول أن تكون مركزاً للتوازن بينهما . ففى الجبهة العربية قامت

---

(٣٤) د. نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص٢١٣ .

بمحاولة احتواء العراق عن طريق استيعاب التنازلات التى قدمها العراق دون أن تنهى حالة اللاسلم واللاحرب بينها وبينه .

ومن ناحية أخرى اتخذت عدة خطوات لتحسين علاقاتها بدول الخليج فى محاولة لإجراء نوع من المصالحة إلا أن هذه الخطوات على الرغم من نجاح بدايتها إلا أنها لاتلبث أن تتقهقر مع بروز النوايا والأطماع الإيرانية فى جزر «أبو موسى» ولاسيما مع محاولات إيران لإيجاد عمق استراتيجى لها وموطىء قدم فى قلب العالم العربى والحالة الواضحة السودان ولبنان[٣٥] .

وفى جبهة آسيا الوسطى والقوقاز ، اتجهت إيران مستغلة مواردها الاقتصادية والسكانية وعقيدتها الإسلامية ، وانطلاقاً من الجوار الجغرافى والصلات التاريخية إلى الجمهوريات الإسلامية . وبصفة خاصة المناطق التى تغلب عليها الثقافة واللغة الفارسية ، وشهدت المنطقة نشاطاً إيرانياً ملحوظاً[٣٦] .

ويرى البعض أن النشاط الإيرانى فى هذا الإطار يعد نشاطاً دفاعياً وليس هجومياً وذلك بالنظر إلى حاجة إيران للأمن إزاء تفوق النشاط التركى عليها اعتماداً على غلبة العنصر التركى السنى على الجمهوريات الإسلامية ، والذى يبدو واضحاً فى إحاطتها بتركيا غرباً ، وبأغلبية سكانية فى آسيا الوسطى من الذين يتكلمون التركية ويتبعون المذهب السنى ومن ثم لجأت إيران إلى سياسة دفاعية قوامها :

---

(٣٥) المرجع السابق ، ص٢٥٧ .

(٣٦) د. نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص٢١٧ .

(أ) بنية ثقافية تقوم على استخدام اللغة الفارسية كعامل توحيد ثقافى بينها وبين طاجيكستان وأفغانستان .

(ب) بنية اقتصادية تقوم على التعاون الاقتصادى والتجارة المفتوحة بينها وبين جيرانها فى آسيا الوسطى[٣٧] .

هذه العوامل مجتمعة أدت إلى وجود فراغ استراتيجى يمكنها من خلاله أن تلعب دوراً ويقوم تصور إيران لدورها ومكانتها الإقليمية على أساس محاولة تكوين كتلة إقليمية تكون هى فيها بمثابة القلب والمركز ، وتضم هذه الكتلة الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، بالإضافة إلى منطقة الخليج . وبهذا تعلب إيران دوراً هاماً كمركز للتوازن بين منطقة آسيا الوسطى والقوقاز وأفغانستان من جهة ، والعالم العربى من جهة أخرى[٣٨] .

ومن الناحية الاستراتيجية تأمل إيران :

١ ـ السيطرة على الاختلافات القومية مخافة أن تمتد هذه النزاعات إلى داخل إيران نفسها . وفى هذا الإطار قامت بالوساطة بين جمهوريتى أرمينيا وأذربيجان .

٢ ـ محاولة الاستفادة بأقصى قدر ممكن من أجل تحديث مؤسساتها العسكرية وبصفة خاصة فى مجال الأسلحة المتطورة والنووية .

---

(٣٧) انظر : نبيل عبد الفتاح : « العرب من النظام العربى إلى النظام الشرق أوسطى تحت التشكيل » ، السياسة الدولية ، العدد(١١١) ، السنة(٢٩) ، يناير ١٩٩٣ ، ص٥٧ .

(٣٨) انظر : أحمد إبراهيم محمود ، « السياسة العسكرية الإيرانية فى التسعينات » ، السياسة الدولية ، العدد(١١١) ، السنة(٢٩) ، يناير ١٩٩٣م ، ص٢٥٥ ، ٢٥٦ ، د. نيفين عبدالخالق ، مرجع سابق ، ص٢١٥ .

وعلى الرغم من مساعى إيران ونشاطاتها الدؤوبة ، فإن البعض يرى أنها لن تحقق نجاحاً كبيراً فى هذه المنطقة لأنها تواجه فيها منافساً يتفوق عليها ويحظى بدعم وتأييد الغرب الذى يقلقه هاجس المد الإسلامى وتصدير الثورة الإيرانية .

ثانياً ـ تركيا والنظام الإقليمى الإسلامى :

ويبرز احتمال إحياء الرابطة التركية من جديد ، ذلك الاحتمال الذى يكتسب مصداقية من الواقع الإثنى والعرق فى تلك الجمهوريات ، الذى تسود فيه المجموعة العرقية التركية . ويصب فى طاحونة هذا الاحتمال النشاط التركى الدبلوماسى المحموم فى الفترة الأخيرة تجاه الجمهوريات الإسلامية ، إلا أن هذا النشاط يتوجه بشكل رئيس تجاه إقامة مجال اقتصادى حيوى لتركيا فى تلك الجمهوريات ، وبمباركة غربية لجرها بعيداً عن خطر إيران الإسلامية .

وقد يكتسب هذا الاحتمال نوعاً من المصداقية فى حالة انضمام تركيا إلى السوق الأوروبية المشتركة ، وبقاء التعثر الاقتصادى فى الكونفيدرالية الحالية على ما هو عليه ، مع تعذر اندماج الاقتصاد السوفيتى السابق فى الاقتصاد الأوروبى .

ولكن يبرز العديد من الصعوبات التى لا يستهان بها أمام هذا الاحتمال ، منها التركيبة العرقية والقومية الفسيفسانية للجمهوريات الإسلامية ، وثانيها أن دعاة الرابطة التركية الأساسيين هم من التتار ،

ولا يعيشون فى تلك الجمهوريات وإنما فى روسيا الاتحادية . كما أن تركيا ـ بوصفها الحالى ليس لديهاقدرة على استيعاب تلك الجمهوريات بمشاكلها وأعبائها ، وتقف بالطبع إرادة المركز روسيا ضد هذا الاحتمال خوفاً من انتقال عدوى «الاتحاد التركى» إلى القوميات الإسلامية داخلها ، وخوفاً من تآكل الفيدرالية الروسية وينطبق هذا على إرادة الولايات المتحدة والغرب التى تتلخص فى رفض وجود دولة إسلامية كبرى فى هذه المنطقة من العالم

تفضيل الجمهوريات الإسلامية للنموذج التركى :

فى أعقاب زوال كيان الاتحاد السوفيتى أجمعت أغلبية القادة الجدد فى الجمهوريات ذات الأغلبية من السكان المسلمين فى آسيا الوسطى على أن النموذج المفضل لتقدم بلادهم المرتقب هو النموذج الذى تمارسه الدولة والحكومة فى تركيا .

ومن الطبيعى القول بأن اختيار النموذج التركى قد جاء بعد تأمل على مدى سنوات لما يجاور ويؤثر فى هذه الجمهوريات . ورفضها النموذج الروسى الاشتراكى لاستنفاد أغراضه من ناحية ، وعدم تقديمه عوناً من ناحية ثانية ، ولأن روسيا الاتحادية الراهنة لا تريد ولا تقوى على تحمل تبعات تطوير جديد هى فى حاجة لنفقاته من ناحية ثالثة ، وكذلك رفضها للنموذج الإيرانى .

وفضلوا النموذج التركى لأسباب كثيرة منها[٣٩] :-

---

(٣٩) انظر : عبد الملك خليل ، التوجه الخارجى يميل لدول الانفتاح السياسى وليس لأنظمة التطرف ، الأهرام القاهرية ١٩٩٢/٣/٢٤ .

١ ـ التقارب الجغرافى حيث تشترك تركيا مع عدد من الجمهوريات الإسلامية فى البر والبحر . وتقليديا كانا محل تداخل .

٢ ـ التقارب التاريخى لأن معظم سكان الجمهوريات يعرفون جيداً الروابط التاريخية على مدى قرون بين أسلافهم والحكام الأتراك .

٣ ـ الرباط اللغوى المتمثل فى اللغة التركية التى يعرفها أكثر من خمسين مليون مسلم من سكان جمهوريات كازاخستان ، وقيرغيرستان ، وأوزبكستان ، وتركستان .. بينما يعرف سكان جمهورية طاجكستان اللغة الفارسية .

٤ ـ الرباط الروحى العقدى الذى يجمع معظم المسلمين أهل السنة مع إخوانهم فى الدين والعقيدة فى تركيا .

٥ ـ الانفتاح التركى على العالم شرقاً وغرباً ، والعلاقة المتينة مع الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية بحكم أن تركيا دولة نشيطة داخل حلف الأطلنطى[٤٠] .

ثالثاً ـ العرب والنظام الإقليمى «تحت التشكيل»[٤١] :

لقد أصبحت المنطقة العربية مخترقة من قبل أطراف غير عربية تريد أن تلعب دوراً إقليمياً وتؤسس مكانة إقليمية على أنقاض النظام العربى الذى تناثرت أشلاؤه بفعل أزمة وحرب الخليج الثانية ، تلك أصبحت

---

(٤٠) المرجع السابق.

(٤١) انظر : نيفين عبد الخالق ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٩ .

حقيقة ، والحقيقة الثانية هي : «التداخل بين مفاهيم (العربي) ، (الإسلامى) ، و (الآسيوى) و (الشرق أوسطى) ـ وذلك فى منطقة الخليج »[٤٢] .

فالتناقض بين هذا المصطلح (الشرق الأوسط) وبين إسلامية النظام الإقليمى يبقى قائماً ، بل إن إسلامية النظام الإقليمى تبقى ـ من وجهة نظرنا الأمل الباقى لإنقاذ مستقبل المنطقة العربية والإسلامية .

وقد سبق أن أوضحنا أن النطاق الجغرافى الذى يشمله مصطلح الشرق الأوسط يتطابق ـ فى بعض التحديدات ـ مع النطاق الجغرافى فى العالم الإسلامى ، فلماذا إذن يريدونه نظاماً إقليمياً شرق أوسطياً ، وليس نظاماً إقليمياً إسلامياً ؟؟؟ إن الإجابة على هذا السؤال فى غاية الوضوح ، فالنظام الشرق أوسطى يعنى دخول إسرائيل وإدماجها فى هذا النظام وتعزيز مكانتها الإقليمية ، وتكريس شرعية وجودها عبر كل الدول المنتمية لنظام الشرق الأوسط والتى هى دول إسلامية ـ بالأساس ـ ضمن إطار العالم الإسلامى ، وبذلك تنتهى دعوى أن إسرائيل كيان غريب على الجسد العربى ، وبذلك يكون إرساء النظام الشرق أوسطى على حساب معيار إسلامية النظام الإقليمى ولصالح تبرير وجود إسرائيل وتكريس شرعيتها ، والاعتراف بذلك من جميع جيرانها .

---

(٤٢) انظر : د. مصطفى علوى ، « الانعكاسات الإقليمية والدولية لاستقلال الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز » ، مرجع سابق ، ص٦٥ .

واستكمالاً لهذا التحليل نضيف بعضاً من سلسلة النتائج والتداعيات الخطيرة للنظام الشرق أوسطى على كيان العالم العربى الإسلامى ومستقبله والتى تتمثل فى «تصفية التراث الإيديولوجى والسياسى القائم على رفض الإيديولوجية الصهيونية ، سواء فى الخطاب السياسى أو فى أساليب التنشئة التعليمية ، والسياسية .. الخ»[٤٣] ، والتركيز على أن «نظام الشرق الأوسط الجديد» هو «شرق أوسط متعدد الإيديولوجيات والأديان والسياسات والقوميات والثقافات»[٤٤] ، ولعل هذا فى جانب منه يفسر شيوع مصطلح «التعددية» فى الخطاب السياسى الحالى ، على جميع المستويات سواء الرسمية ، أو الإعلامية الأكاديمية أو الثقافية عموماً[٤٥] الأمر الذى يخدم ويكرس فى النهاية بقاء إسرائيل وتبرير وجودها على أساس أنها إحدى صور هذه التعددية التى تزخر بها هذه المنطقة ، وذلك على حساب أى دعاوى بوجود وحدة ثقافية حضارية عربية أو إسلامية تجمع بين هذه المنطقة وتجعلها عربية وإسلامية ومن ثم يتأكد مصطلح «الشرق الأوسط» وتنزوى وراءه أى دعاوى عربية أو إسلامية .

---

(٤٣) المرجع السابق ، ص٦٩ ، وانظر أيضا : نبيل عبدالفتاح ، «القضايا المطروحة فى مفاوضات السلام» ، جريدة الأهرام ، ١٩٩١/١١/١م .

(٤٤) انظر : نبيل عبد الفتاح : «العرب من النظام العربى إلى النظام الشرق أوسطى تحت التشكيل» ، مرجع سابق ، ص٦٩ .

(٤٥) انظر : د. نيفين عبد الخالق مصطفى : «الأبعاد السياسية لمفهوم التعددية : قراءة فى واقع الدول القطرية العربية واستقراء لمستقبلها» ، بحث قيد النشر .

وبذلك يتم حرمان المنطقة العربية والإسلامية من أى مقومات تساعدها على الخروج من أزمتها ، وذلك بتشجيع التنظيمات الفرعية بعيداً عن الالتزام بإطار عربى أو إسلامى شامل ، كعزل أمن الخليج ومستقبله عن باقى الوطن العربى ، وعزل منطقة آسيا الوسطى والقوقاز عن الالتقاء بالعالم الإسلامى وبقائها ضمن الإطار الروسى(٤٦)، وبذلك يتم توزيع المكاسب مرة أخرى بين القطبين السابقين أعداء الأمس وحلفاء اليوم : روسيا والولايات المتحدة حيث تحتفظ روسيا بالجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ضمن إطار «الكومنولث» وتهيمن الولايات المتحدة على الخليج ومنابع النفط الغنية .

ومن هنا تأتى أهمية الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز ، فهى قد تكون بمثابة تعويض استراتيجى عما خسره العرب من تفكك وانهيار حليفهم القديم «الاتحاد السوفيتى» فكيف يكون ذلك ؟ .

فى الواقع إن هناك معنى عاماً ينبغى توضيحه حينما نقول : «العرب» فالسؤال يكون : «أى عرب» ؟ . فمن الواضح أن العرب لا يكونون إرادة سياسية واحدة ، ولا كياناً سياسياً موحداً له مصالح معينة وسياسات متفق عليها ، ولكنهم يتوزعون بين كيانات سياسية قطرية قد

---

(٤٦) انظر وقارن :

William E. Odom, soviet politics and After: old and New conepts, World politics, Vol. 45, October 1992, No. 1, pp. 66-98.

تتعارض مصالحها واتجاهاتها وقد تختلف سياساتها وتوجهاتها ، وإذا كان المقصود « بالعرب » جامعة الدول العربية ، فإننا نجد من أهل هذه الجمهوريات من يرون أن جهودها قاصرة حتى الآن ، وإن كان المقصود هو الدول العربية ، فإن من بينها اثنتين ـ على وجه الخصوص ـ مرشحتين لمزيد من التعاون مع هذه المنطقة وهما : السعودية ومصر ، وذلك لاعتبارات تتعلق أساساً بوجود الحرمين الشريفين فى الأولى ، ووجود الأزهر فى الثانية ، هذا فضلًا عن أوجه التعاون والاستثمارات الممكن الاستفادة بشأنها ، هذا من ناحية .

ويعتقد البعض أن العرب لديهم فرصة أكبر مع الجمهوريات الإسلامية وذلك للذكريات التاريخية للسيطرة الفارسية والعثمانية على تلك المناطق(٤٧) ، فى حين ينظر إلى العرب ـ وبصفة خاصة السعودية حيث « الحرمان الشريفان » ، ومصر حيث « الأزهر » بكثير من المشاعر الإسلامية ، كما يرى البعض أن فرصة العرب باعتبار أنهم ليسوا من دول الجوار الجغرافى لآسيا الوسطى ستجعلهم مفضلين من قبل هذه المنطقة لأن احتمالات الهيمنة بسبب الجوار الجغرافى ليست واردة بالنسبة لهم(٤٨) ولعل هذه المبررات يمكن أن تمثل معطيات يمكن استخدامها فى مزيد من التحرك العربى نحو تلك المنطقة ، وبصفة خاصة بسبب المصالح العربية

---

(٤٧) انظر وقارن : « الوسط تحاور هيلين كارير بانكوس الخبيرة البارزة فى شئون الجمهوريات الإسلامية » ، فى : إرواد أسبر : « ماذا يريد العالم الإسلامى الجديد ؟ » مرجع سابق ، ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

(٤٨) انظر وقارن : عبد المجيد فريد : « المسلمون فى الاتحاد السوفيتى إلى أين ؟ » ، جريدة الأهرام ٩/١٠/١٩٩١م .

مع هذه المنطقة بخصوص قضيتين هامتين وهما : الصراع مع إسرائيل ، والتعاون الاقتصادى .

فما هى التأثيرات الممكنة لاستقلال الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز على هاتين القضيتين ؟.

أولًا ـ الصراع مع إسرائيل :

هل يُعد انهيار الاتحاد السوفيتى وتفككه واستقلال الجمهوريات الإسلامية فى صالح العرب فى صراعهم مع إسرائيل ؟ وكيف ؟

فى واقع الأمر ، كان ينظر إلى الاتحاد السوفيتى فى معظم فترات هذا الصراع على أنه حليف للعرب ، ومصدر أساسى من مصادر التسليح ، هذا فضلًا عن أن وجوده كقطب فى توازن دولى يقوم على الثنائية القطبية كان يعطى « هامشاً للمناورة »[49] لا يتوافر فى حالة سيطرة قطب واحد على الرغم من أن البعض يرى فى زوال القطبية الثنائية فرصة لإيجاد حل لهذه القضية باعتبار أن ثنائية التوازن كانت تصعب الوصول إلى حل .

إن روسيا الآن ـ وتحت زعامة « يلتسن » ـ لا تعد ذات توجهات إيجابية نحو العرب ، بل على العكس إنها ترى فيهم مؤيدين ومخالفين

---

(٤٩) انظر : وحيد عبد المجيد : « تأثير تفكك الاتحاد السوفيتى فى العالم العربى والإسلامى » ، مستقبل العالم الإسلامى ، ٢ (٥) ، شتاء ١٩٩٢ ، انظرها فى : روسيا الوسطى والعرب : « مجموعة قراءات » ، مرجع سابق .

(٤٩) انظر : د. محمد السيد سليم : « العرب فيما بعد العصر السوفيتى » . مرجع سابق . ص ٣٤٣ .

للاتحاد السوفيتى السابق بكل ما يأخذون عليه من مخالفات لحقوق الإنسان(٥٠) . وحتى قبل مجىء «يلتسن» والتطورات الأخيرة ، فإن الاتحاد السوفيتى فى عهد «جورباتشيوف» كان قد بدأ التحول نحو استرضاء الولايات المتحدة وجعل أولوياته منصبة حول حل مشكلاته الاقتصادية وبما تبناه من مفاهيم «توازن المصالح» و «الاعتماد المتبادل» . كل ذلك جعل مشاكل العالم الثالث والنزعة السوفيتية إلى دعم قضاياه ، تتضاءل أمام الرغبة فى التوافق مع الولايات المتحدة ، إذن بانهيار الاتحاد السوفيتى كان العرب بالفعل «قد خسروا الكثير» ، ولم يبق أمامهم إلا التحرك للتعامل مع ثلاث مشكلات أساسية وهى :

١ ـ إمدادات السلاح .

٢ ـ جهود تسوية مشكلة الشرق الأوسط .

٣ ـ الهجرة اليهودية من جمهوريات الاتحاد السوفيتى إلى فلسطين .

ونتناولها بالتفصيل على النحو التالى :

١ ـ إمدادات السلاح وجهود التسوية :

لقد تأثرت بالفعل إمدادات التسليح للدول العربية وخاصة فى غيبة صناعات حربية عربية متطورة ، يمكن أن تعوض نقص الإمدادات الخارجية ، وقد ينظر إلى الجمهوريات الإسلامية على أنها يمكن أن تكون مصدراً من مصادر التسليح ، وخاصة وأنه لظروفها الاقتصادية تعتمد على بيع الأسلحة . ولكننا نلفت النظر إلى أن سوق السلاح لورثة

(٥٠) انظر : د. محمد السيد سليم : «العرب فيما بعد العصر السوفيتى : المخاطر والفرص» . مرجع سابق . ص٣٣٨ .

الاتحاد السوفيتى ينافس العرب فيه منافسون كثيرون لديهم القدرة على الدفع بالعملات الصعبة ، فضلاً عن أن الولايات المتحدة تراقب جيداً هذه العملية لتمنع تسرب الأسلحة المتطورة ، وعلماء الطاقة النووية من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق إلى دول العالم الثالث ، وبصفة خاصة إلى الدول العربية والإسلامية حتى لا يؤثر ذلك على التفوق الإسرائيلى فى مجال التسلح والذى تدعمه الولايات المتحدة[٥١] .

إلا أن كم المشاكل الداخلية التى تواجه هذه الجمهوريات ، واحتمالات تفجر الصراعات الحدودية والاثنية والعرقية ، تجعل احتمال أن يكون لهذه الجمهوريات أثر ملموس بالنسبة لميزان التسلح بين العرب وإسرائيل ، أو لجهود التسوية احتمالاً ضئيلاً فالأثر الأكبر سيكون لروسيا الوريثة الكبرى للاتحاد السوفيتى ، ووريثة مقعده فى الأمم المتحدة .

٢ ـ مشكلة هجرة اليهود من دول الكومنولث إلى فلسطين :

وخطورة الهجرة اليهودية تتمثل فيما يمكن أن تؤدى إليه من التأثير ـ مستقبلاً ـ على المعادلة السكانية بحيث ترجح اليهود فى إسرائيل والأرض المحتلة ، وما يمثله هذا الوضع من تهديد خطير للدول العربية المجاورة وإذا علمنا « أن الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز تضم حوالى ١٢٪ من إجمالى يهود جمهوريات رابطة الدول

---

(٥١) انظر مزيداً من التفصيل فى : مرجع سابق ، ص ٣٤٠ ، ٣٤١ . وراجع ايضاً : جريدة الشعب ، ١٩٩١/١٢/٣١ م . جريدة الأهرام ، ١٩٩٢/١٢/٤ م . سلامة أحمد سلامة ، « نحن والأكازيون النووى » ، جريدة الأهرام ١٩٩٢/٢/١١ م .

المستقلة يتركز معظمهم فى أوزبكستان (٥,٥٪ من إجمالى يهود الجمهوريات[٥٢] .

ولتوضيح خطورة الهجرة اليهودية إلى فلسطين نحاول رصد حجمها وآثارها على العالم الإسلامى[٥٣]

١ ـ حجم الهجرة :

قفز عدد المهاجرين من اليهود السوفييت إلى إسرائيل ، ليصل فى عام ١٩٩١ م إلى ٤٠٠ ألف مهاجر ، ومن المتوقع أن يتجاوز المليون فى عام ١٩٩٢ م ، « والأرقام العامة تشير إلى أن ٤٠٪ من المهاجرين السوفييت من الباحثين العلميين والمهندسين والأطباء » .

ويذكر هنا ـ أيضا ـ أن الإذاعة الإسرائيلية قد ذكرت أن سبعمائة عالم من جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ، قد هاجروا إلى إسرائيل خلال السنوات الأخيرة من بينهم علماء متخصصون فى الذرة والصواريخ .

---

(٥٢) المرجع السابق ، ص ٣٤٤ . ونقلاً عنه ولمزيد من التفصيل عن هجرة اليهود السوفييت يمكن مراجعة : د. عبدالوهاب المسيرى ، هجرة اليهود السوفييت ، (القاهرة : دار الهلال ، سلسلة كتاب الهلال ، ١٩٩٠) . ص ١٣٩ ــ ٢٢٨ د. أحمد يوسف أحمد « المخطط الراهن لتهجير اليهود السوفييت إلى فلسطين ، الجذور ، الواقع ، المستقبل » ، المستقبل العربى ، ١٣ (١٤١) ، نوفمبر ١٩٩٠ م ، ص ١٨٠ ــ ١٠١ . ويمكن مراجعة إحصاء المهاجرين اليهود فى : التقرير الاستراتيجى العربى لعام ١٩٨٩ م . (القاهرة : مركز الدراسات السياسية ، الأهرام ، ١٩٩١ م) ، ص٢٣ .

(٥٣) انظر : أحمد بهاء الدين شعبان ، « هجرة العلماء اليهود السوفييت إلى إسرائيل ومخاطر اتساع الفجوة العلمية بينها وبين العرب » مجلة شئون سوفيتية العدد الأول ، ص ٢٤ ـ ٢٩ .

٢ ـ أثر الهجرة على البنية التكنولوجية الإسرائيلية :

كشفت تقارير (سرية) لأجهزة مخابرات غربيـة ـ أشارت جريدة « الحياة الدولية » لها ـ عن مجموعة من المعلومات الهامة ، حول هذه القضية ، منها :

ـ ساهمت هجرة العلماء اليهود الُسوفييت ـبعد انهيار الاتحاد السوفيتى ـ بين عامى ١٩٨٩ ـــ ١٩٩٢ ، فى تطوير أنشطة الإنتاج الحربى الإسرائيلى ، وذلك فى اتجاهات ثلاثة رئيسة :

(أ) تطوير البرنامج النووى العسكرى الإسرائيلى ، حيث التحق سبعون عالماً من يهود (الاتحاد السوفيتى) ، من المتخصصين فى الذرة والفيزيـاء النوويـة بمفاعـل « ديمونـا » بالنـقب ومفاعـل « ناحـال سوريك » ، ومعهد « وايزمان » فى رحوبوت ، ومن أبرز هؤلاء العلماء البروفسور « باريس مالاماد » و« ميخائيل عارلين » و« غواردو لاريكمان » ، وهم من كبار علماء الذرة (السوفييت) ، وينصب جهدهم فى إسرائيل على العمل لإنتاج قنابل نووية (صغيرة) ويمكن إطلاقها بالصواريخ الباليستية .

(ب) تطوير البرنامج الفضائى الإسرائيلى ، حيث انضم اثنـان وستون من علماء الفضاء اليهود ، (السوفييت) ، إلى مؤسسات الفضاء الإسرائيلى ، وهم من كبار العاملين السابقين بالمجتمع الفضائى السوفيتـى الكـبير ، وأبرزهـــم « الكسنــــدر ياريـــن » و« مارك أغرونسكى » و« ليونيد ليمونيف » ، وينصب جهدهم على بناء منظومة فضائية للتجسس بالأقمار الصناعية (أرفيك ٣ ، الذى أطلق فى أول

يونيو الماضى) ، و(أوفيك ٤) ، وللاتصالات عبر الفضاء (عاموس) ، لاكتشاف الأجرام السماوية .

(جـ) تطوير أساليب الدفاع الاستراتيجى المضاد للصواريخ الباليستية ، وإنشاء نظام دفاعى إسرائيلى على غرار « الدرع الأحمر » السوفيتى المضاد للصواريخ الباليستية ، يتمتع بالمرونة والكفاءة ، ويمتلك مواصفات عالمية ، وقد أشار عيزرا وايزمان » إلى توظيف ١٣٠ عالما يهوديا فى مجال الصواريخ الباليستية من أصل ٢٠٠ عالم سوفيتى عملوا فى هذا المجال .

وتعود أهمية الهجرة العلمية اليهودية من دول الاتحاد السوفيتى السابق إلى كونها تمثل هجرة نوعية لقطاعات رفيعة الثقافة متميزة الدراسة ، حيث يشكل اليهود السوفييت النسب التالية :

٨٪ من العلماء ، ٢٠٪ من الكتاب والصحفيين ، ١٥,٨٪ من الأطباء ، ٨٪ من الفنانين ، ١٠٪ من المحامين ، وعلى حد ذكر « عزرا وايزمان » وزير العلوم والطاقة الإسرائيلى السابق ، فإنه قد تم أخيراً توزيع ٢٥ ألف عالم يهودى (سوفيتى) على النحو التالى :

« ٢١ ألفا فى هندسة الإلكترونيات والكهرباء والبصريات والحاسبات ، ألفان فى الرياضيات والعلوم الدقيقة ، ٢٢٦ فى الطب والمهن الأخرى » .

ومن وجهة نظر أخرى ، فإن تقديرات « باروخ إيال » ، رئيس «معهد الموارد البشرية والأبحاث العالمية » التابع لوزارة العلوم والتكنولوجية الإسرائيلية ، تضيف بعداً جديداً لهذه الصورة ، فقد ،

أعلن « أن هجرة اليهود من الاتحاد السوفيتى إلى إسرائيل ، سترفع عدد العلماء الإسرائيليين بنسبة ٣٠٠٪ ، كما أعلن باروخ أن ٢٤٪ من المهاجرين من المستويات العليا ، ومنهم نسبة كبيرة من المهندسين ، كما أنهم يضمون ألفى عالم متخصص ، وبينهم ١٢٠٠ عالم فى العلوم الأساسية والتطبيقية » ، وهذه النسب تزيد خمسة أضعاف النسبة الحالية فى إسرائيل والدول الغربية .

٣ ـ أثر الهجرة اليهودية على العالم العربى والإسلامى .

ومن المؤكد ، على النحو الذى ذكرناه ، أن الهجرة المكثفة للعلماء اليهود من دول الاتحاد السوفيتى السابق ، ومن دول الكتلة الاشتراكية السابقة ، إلى إسرائيل ، ستتسبب فى مضاعفة الفجوة العلمية الراهنة بين العرب وإسرائيل ، لمصلحة الطرف الأخير ، خاصة فى المجالات الرفيعة للعلوم النظرية والتطبيقية ، وستصب فى مجال تدعيم المسعى الصهيونى لتكريس التفوق الاستراتيجى النوعى على الكم العربى المحدود القدرات ، وستضيف عناصر قوة جديدة للبرامج الحربية الإسرائيلية ولعمليات « تدريع » الدولة الصهيونية ، الأمر الذى يغرى قادتها على مضاعفة محمومة لسباق التسليح فى المنطقة ، ويدعم خططها التوسعية المستندة على توفير عنصر القدرة العسكرية المتفوقة .

فما بين حلم إسرائيل : الدولة المتقدمة تكنولوجيا ، التى تمثل « يابان الشرق الأوسط » وبوابة عبوره للمستقبل وصاحبة دور الريادة العلمية والتقنية فى المنطقة ، كما يتمنى « شيمون بيريز » ، فى حواره مع الكاتب الفرنسى « جان جاك شرابير » فى كتابه الأخير « الشعب المختار

والاختيار » ، وبين « إسرائيل الأقوى والأكبر » ، كما يتفاخر « إسحق شامير » فى أعقاب فتح أبواب الهجرة أمام يهود شرق أوروبا إلى الدولة الصهيونية ، تبدو حدود الخطر المستقبلى المترتبة على هذه الموجة الجديدة من الهجرة اليهودية إلى إسرائيل القادمة من « الشرق » ؛ والتى تسهم بدور أساسى فى أن تخضع المنطقة ، فى المنظور الإسرائيلى ، إما للعبودية التكنولوجية ، كما يرى « بيريز » .. أو لعبودية القوة الإسرائيلية الغاشمة كما يرى « شامير » وفى الواقع فإن مواجهة لأبعاد هذه الموجة ، وسرعة أشد فى استيعاب مراميها ، ثم حركة ديناميكية مؤثرة وسريعة ومنظمة ، للتصدى لأهدافها ، وإلا فإن استمرار تدفق هذا السيل المنهمر من الخبرات والكفاءات العلمية الاستراتيجية على إسرائيل سيجعل من الصعوبة بمكان على أجيالنا القادمة ، مواجهة الكارثة مواجهة فعلية فعالة ، وسيكون لها نتائج ومضاعفات قد تفوق فى كوارثها ما نعانيه من مآس سببتها عملية الزرع القسرى للدولة الصهيونية فى بلادنا .

ويربط النشاط الإسرائيلى فى « كومنولث الدول المستقلة » بين التعاون من جهة ، وبين عرقلة تعاون هذه الدول مع دول الأمة الإسلامية .. ولا غرو فهذان العنصران يمثلان هدفين قوميين إسرائيليين .

ثانياً : التعاون الاقتصادى

وفى دراسة عن العلاقات العربية ـ السوفيتية من الناحية الاقتصادية لوحظ أن هذه العلاقات كانت مبنية على مقومات موضوعية

أكثر منها على اعتبارات إيديولوجية[٥٤]. ومن ثم فإن تفكك الاتحاد السوفيتي لا يعنى انهيار العلاقات الاقتصادية العربية التى ترتبط بجمهورياته ، بل إنه يعنى فتح آفاق جديدة للتعامل مع عدد أكبر من الكيانات السياسية المستقلة ، ولا سيما مع الجمهوريات الإسلامية التى تعد سوقاً اقتصادية كبيرة ، كما أنها تحوى آفاقاً رحبة للتعاون الاقتصادى[٥٥] .

والتعاون الاقتصادى هو أساس النجاح فى كافة المحاور الأخرى ، وهذا يستلزم الوعى بضرورة التنسيق العربى ، ووضع استراتيجية عربية شاملة تضع نصب أعينها التعاون الاقتصادى العربى ـ العربى ، والعربى ـ الإسلامى ، على أوسع نطاق ، وفى هذا الخصوص فإن الدول العربية البترولية تحتل أهمية كبيرة لما توفره من أرصدة مالية وتسهيلات ائتمانية ، واستثمارات يمكن أن تعزز بها التعاون الاقتصادى مع الجمهوريات الإسلامية المستقلة ، وخاصة وأن المشاكل الاقتصادية هى من أهم ما يواجه هذه الجمهوريات من مشاكل وتحديات[٥٦] . وإذا

(٥٤) لمزيد من التفاصيل حول الإمكانيات الاقتصادية للجمهوريات المستقلة راجع : معتز محمد سلامة ، « مستقبل الدور الروسى فى الكومنولث الجديد » ، السياسة الدولية ، السنة (٢٩) ، العدد (١١٢) ، إبريل ١٩٩٣ ، ص ١٥٨ .

(٥٥) انظر : د. محمد السيد سليم ، « العرب فيما بعد العصر السوفيتى : المخاطر والفرص » ، مرجع سابق ، ص ٣٤٥ .

(٥٦) انظر وجهة نظر بهذا الشأن فى : أسامة المجدوب ، « المستقبل العربى وتداعيات عقد التسعينات » ، مرجع سابق ، ص ١٢٨ ومابعدها . ولمزيد من التفاصيل عن الإمكانيات الاقتصادية لندوة العالم الإسلامى والمستقبل ، مرجع سابق ، وبصفة خاصة بحث د. محمد ابراهيم منصور ، « التكامل وتقسيم العمل بين الأقطار الإسلامية ، ص ١ ـ ٥٣ .

علمنا « أن ودائع الدول العربية فى البنوك الأجنبية تجاوزت ألف مليار دولار . فإنه ينبغي توجيه جزء من هذه الأموال للاستثمار فى هذه الجمهوريات خاصة وأنها تملك ثروات طبيعية لم تستغل بعد »[٥٧] .

وقد توجد هناك عوائق دولية ومنافسات إقليمية تعوق التعاون الاقتصادى المنشود بين الدول العربية والجمهوريات الإسلامية المستقلة . فمن المعروف أنه منذ انتهاء عصر الحرب الباردة ، ووجود احتمال التحام الجمهوريات الإسلامية بالعالم الإسلامى ، مع ما يعنيه ذلك من تهديد للمصالح الغربية ـ بصفة خاصة الأمريكية ـ فى حقول البترول الخليجية . وهذا الهاجس يقلق صانع القرار الغربى ، وذلك فى ظل استراتيجية غربية ثابتة تعمل على الحيلولة دون تحول العالم العربى أو الإسلامى إلى قوة إقليمية كبرى ومؤثرة « وهو ما أوجد ما يسمى الآن فى الدراسات الاستراتيجية فى الغرب بفكرة « الجسر المقطوع » بين الناحيتين »[٥٨] .

إلا أن رغبة الغرب فى الوقوف ضد المد الأصولى الإسلامى والذى تمثله إيران[٥٩] . قد يدفعه إلى تشجيع التعاون فى كافة المجالات بين هذه

---

(٥٧) انظر : د. محمود أبو العلا ، مرجع سابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .
والتكافل الاقتصادى بين أقطار العالم الإسلامى ، راجع : أبحاث المحور الاقتصادى .

(٥٨) انظر : د. محمد عبدالقادر أحمد ، مرجع سابق ، ص ٢٨٥ .

(٥٩) انظر رؤية بهذا الصدد فى : سليم الحسينى ، « الإسلام والنظام الدولى : رؤية فى بوادر التأثير » ، مجلة منبر الحوار ، السنة (٥) ، العدد (١٩) ، خريف ١٤١١ هـ/١٩٩٠ م ، ص٧٣ ، ٧٤ . وانظر أيضا : صلاح بسيونى ، « العلاقات العربية فى أولويات الجمهوريات المستقلة » ، السياسية الدولية ، ٢٧ (١٠٨) ، إبريل ١٩٩٢ ، انظرها فى روسيا وآسيا الوسطى والعرب : « مجموعة قراءات مرجع سابق » ص٣٧٦ .

الجمهوريات والتنسيق بين كل من تركيا ومصر لإيجاد نوع من التوازن أمام النشاط الإيرانى فى هذه الجمهوريات .

التعاون والتنسيق بين مثلث القوة الإقليمي هو الطريق الوحيد لبناء نظام إقليمي إسلامي :

فى الواقع إنه توجد دلائل واقعية تدفع إلى عدم ترجيح كفة التنافس الإقليمى ، وتفضيل وجود حد أدنى من التنسيق ، وتتمثل هذه الدلائل فى وجود بعض القيود على تحركات كل طرف تدفعه إلى عدم تصعيد الروح التنافسية .

أولاً ـ إيران :

مخاوف من اندلاع نزعة للوحدة الآذربيجانية يمكن أن تؤثر على المطالبة الإقليمية لجمهورية آذربيجان بالمدينة الإيرانية المجاورة لها والتى « تحمل نفس الاسم » ، هذا فضلاً عن أنه توجد مخاوف فى الجمهوريات الإسلامية نفسها من التحرك الإيرانى النشط ، وذلك لما تمثله إيران من نزعة « أصولية » وذلك باستثناء طاجيكستان .

ثانياً ـ تركيا :

هناك قيد يتمثل فى حرصها الدائم على الموازنة بين توجهاتها الغربية والشرقية مع إعطاء الأولوية للأولى » . إلا أن مصلحة الغرب فى الحد من النشاط الإيرانى قد تكون فى صالح دعم التوجه التركى نحو هذه الجمهوريات ومع ذلك يبقى القيد المتعلق بالمخاوف التى قد تنشا لدى

هذه الجمهوريات من استبدال الهيمنة الروسية بالهيمنة التركية وخاصة وأن النزعة الاستقلالية لهذه الجمهورية مازالت فى عنفوانها بعد تحررها بعد طول عناء من حقبة تسلطية دامت ما يقرب من سبعين عاماً .

ثالثاً : العرب :

لاتزال لهم مصالح تربطهم بروسيا ، وتجعل عليهم ـ من المنظور الاستراتيجى ـ ضرورة الموازنة فى علاقاتهم ، فى ضوء الوعى بأن روسيا وإن كانت تمثل قوة أقل مما كان يمثله الاتحاد السوفيتى السابق إلا أن احتمال عودتها لتصبح قوة دولية كبرى لا يزال قائماً . وهو أمر ينظر إليه البعض على أنه فى صالح الدول الصغيرة التى تضعف قدرتها على المناورة فى ظل هيمنة قطب دولى واحد[٦٠] وقد تشارك أطراف متعددة فى وجهة النظر هذه ، وهى الحد من هيمنة الولايات المتحدة ، عن طريق عدم تشجيع الانهيار الروسى ، والتى تعبر عنها مقولة نائب وزير الخارجية الإيرانى (بشارتى) « كنا نهتف بالموت للاتحاد السوفيتى ، واليوم بعد سقوط الشيوعية لا نطلب له الموت ، بل نحن حريصون على وحدته إلى أقصى حد[٦١] .

---

(٦٠) Richard K. Herrmann, "Soviet Behavior in Regional Conflicts, Old Questions, New Strategics, and Important Lessons, World Politics, Vol. 11 No.3, April 1992, pp. 398 – 431.

(٦١) انظر : وحيد عبدالمجيد ، « تأثير تفكك الاتحاد السوفيتى فى العالم العربى والإسلامى » ، مرجع سابق ، ص ٣٦٩ . ونقلاً عنه انظر : صحيفة « السفير » (بيروت) ، حديث للسيد محمد على بشارتى نائب وزير الخارجية الإيرانى ، ١٩٩١/١٠/٢٦ م .

وفى نفس الاتجاه جاءت تحليلات بعض الباحثين من أن الابتهاج الذى ساد بانهيار الاتحاد السوفيتى وسقوط الشيوعية باعتبار أن ذلك انتصار للإسلام على الشيوعية ، وانتصار للشعوب الإسلامية التى كانت تخضع لهيمنته واستطاعت الحصول على هويتها ، لم يلبث أن ظهر وجهه الآخر من حيث التأثير على التوازن الدولى تأثيراً جعل الدول العربية هى « الأكثر ترشيحاً » من بين دول العالم الثالث ، لتكون « ضحية » هذه التطورات[٦٢] .

ومن ثم فإن انفصال الجمهوريات الإسلامية عن الكومنولث الروسى لصالح أى تكتل إقليمى آخر ، لا يعد مطلبا ذا قبول فى الوقت الحالى على الأقل . وذلك بسبب بعض الخصائص التى تميز الصراع السياسى داخل هذه الجمهوريات حيث ينظر إلى أن هذا الانفصال قد يدعم من موقف « الشيوعيين السابقين الذين يريدون تكوين كتلة من طاجيكستان وأوزبكستان وتركمانيا ضد جيرانهم الذين قد أخذوا فى السير فى طريق ديمقراطى »[٦٣] هذا فضلاً عما يتضمنه هذا الوضع من مخاطر التقسيم والصراع بين المسلمين فى هذه المنطقة ، وفصل مسلمى روسيا عنهم وتعريضهم « للذوبان داخلها »[٦٤] ، أيضاً بسبب المخاوف

---

(٦٢) انظر : د. محمد السيد سليم ، « العرب فيما بعد العصر السوفيتى : المخاطر والفرص » . مرجع سابق ، ص٣٤٧ .

(٦٣) انظر : د. إيمان يحيى ، « مستقبل الجمهوريات الإسلامية السوفيتية : خريطة جيوسياسية ــ اقتصادية واجتماعية » ، مرجع سابق ، ص ٢٥١ .

(٦٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

من الصراعات العرقية والخلافات على الحدود[٦٥] « فلا يمكن التعويل على تأثير الأخوة الإسلامية عند اندلاع الصراعات الاثنية ، وهذه هى النتيجة المؤلمة للصراعات داخل العالم الإسلامى إجمالاً حتى الآن »[٦٦] .

وفى نفس هذا الإطار جاءت آراء بعض المفكرين الإسلاميين فى العالم العربى ، ومن ذلك ما صرح به « د. محمد عمارة » لصحيفة « المسلمون » من مخاوف من الصراعات العرقية والمذهبية . وما صرح به أيضا « فهمى هويدى » من أن انهيار الشيوعية وإن كان قد ترتب عليه تخفيف المعاناة عن المسلمين فى هذه المناطق ، إلا أن انفصالهم عن « المركز » لن تكون آثاره محمودة لاعتبارات متعددة سياسية واقتصادية[٦٧] .

إذن يبقى « التنسيق » هو الخيار الأفضل بدلا من إذكاء التنافس ، والتنسيق يعنى أساساً بالتركيز على المصالح المشتركة لجميع الأطراف بما فى ذلك الجمهوريات الإسلامية بالطبع ، والتركيز على بناء تعاون

---

(٦٥) انظر : وحيد عبدالمجيد ، « تأثير تفكك الاتحاد السوفيتى فى العالم العربى والإسلامى » ، مرجع سابق ، ص ٣٧١ ، ٣٧٢ . وانظر تناولا جيدا لمشكلة الحدود من منظور إسلامى فى : أمانى عبدالرحمن صالح ، « إشكالية الحدود فى التصور الإسلامى » ، السياسة الدولية ، السنة (٢٩) ، العدد (١١٢) ، إبريل ١٩٩٣ م ، ص ٥٤ – ٦٣ .

(٦٦) انظر : وحيد عبدالمجيد ، مرجع سابق ، ص ٧٣١ .

(٦٧) المرجع السابق ، ص ٣٧٣ ، ٣٧٤ . وانظر أيضا : فهمى هويدى ، « العالم الإسلامى : مكوناته وفعالياته فى القرن الحادى والعشرين » ، مجلة منبر الحوار ، العدد (١٩) ، السنة (٥) ، خريف ١٩٩٠ م – ١٤١١ هـ ، ص ١٩ ، ٢٠ .

ونظام إقليمى إسلامى يقف فى وجه التغلغل الإسرائيلى لابد وأن يضع فى الاعتبار النزاعات والصراعات التى قد تنشب بين هذه الجمهوريات فالعالم الإسلامى « المثقل » بهمومه وصراعاته ، من الأولى به أن يتعامل من موقع احتواء الصراع بدلاً من انتظار حدوثه ، ومن هنا تأتى أهمية الاقتراح بمبادرة « بتأليف لجنة فى إطار منظمة المؤتمر الإسلامى مثلاً ، لإجراء اتصالات مع قادة الجمهوريات على أعلى مستوى من المكاشفة للتوصل إلى حلول سلمية لمشكلات الحدود تحول دون انفجارها »[٦٨] .

(٦٨) انظر : وحيد عبدالمجيد ، مرجع سابق ، ص٣٧٤ .

الفصـــل الســـادس
أساليب إعادة مسلمى آسيا الوسطى والقوقاز إلى قيم ومبادىء الشريعة الإسلامية

المبحث الأول : الظواهر والسلوكيات غير الإسلامية :

المبحث الثانى : استراتيجيات التعاون بين مسلمى آسيا الوسطى والقوقاز فى العالم الإسلامى .

المبحث الثالث : أسس نشر الثقافة الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز .

المبحث الرابع : استخدام الحرف القرآنى فى كتابة لغات شعوب آسيا الوسطى والقوقاز .

المبحث الخامس : الإعلام ودوره فى نشر الثقافة الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز .

هذا الفصل يتناول الأساليب الواجب اتخاذها لإعادة مسلمى الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز إلى قيم ومبادىء الإسلام .

ونود الإحاطة بأن جزءاً من المادة العلمية لهذا الفصل كانت موضوعاً لحلقة نقاش(*) حول أساليب وضع الجمهوريات الإسلامية على طرَيق الشرعية الإسلامية شارك فيها نخبة من خيرة أبناء الأمة الإسلامية . عقدت على هامش المؤتمر المشار إليه .

(*) نشكر الآنسة منى عمار ـ مساعد الباحث بمركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ـ على ما قامت به من جهد فى تفريغ شرائط «الكاسيت» الخاصة بهذه الحلقة .

وقام صاحب الدراسة بإعداد المادة العلمية التى تم تفريغها للنشر بعد تحريرها بما يخدم الدراسة .

ـ المبحث الأول ـ

المظـاهر والســلوكيات غير الإســلامية

الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام(*) ـ زار العديد من جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز فى عدة زيارات ، ويرى أن الشعوب المسلمة فى الاتحاد السوفيتى «سابقاً» غيبت فيها العقيدة كثيراً ، بشكل أو بآخر وأن نظامى الحكم القيصرى ، والشيوعى كانا ضد عقيدة المسلمين ، مما جعلهم يعيشون على أسس وقيم مختلفة عن تلك التى توافق تعاليم الإسلام ، وعلى سبيل المثال :

التعليم :

التعليم لا علاقة له بالدين من قريب أو بعيد بل على العكس يهيىء الناس لكى يبتعدوا عن الدين ، وأن الشيوعية تنظر إلى الدين على أنه أفيون الشعوب ، ويعمل على تفشى الجهل فى الناس . كان هذا هو أسلوب التعليم السائد فى هذه البلاد .

ويوضح الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ(**) مظاهر البعد عن تعاليم وقيم الإسلام من خلال زياراتـه المتعـددة إلى الجمهوريـات

(*) نائب رئيس جامعة الأزهر ، والمشرف على مركز صالح كامل للاقتصاد الإسلامى ، ورئيس مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز .

(**) رئيس جامعة الأزهر .

الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى «سابقاً» ، فالمسلمون هناك يعرفون الله ، ويؤمنون به ، ويؤمنون أن سيدنا محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يصلى منهم إلا كبار السن فقط ، الذين كانوا موجودين قبل طمس الإسلام فى الحقبة الشيوعية . ولم يجد شباباً فى المساجد التى زارها ، حتى إنه شك فى أنهم يعرفون الوضوء وطلب من أحدهم ــ داخل المسجد ــ أن يتوضأ أمامه ، والحمد لله توضأ وضوءاً صحيحاً .

أما الشباب فقالوا لفضيلته : إن أمهاتهم قلن لهم : لا تنسوا أن الله واحد وأن محمداً رسول وكفاكم هذا ، وضعوا هذا فى قلوبكم فقط لأنهن يعلمن أنهم إذا أظهروا إسلامهم قتلوا .

الطـعام :

كما لفت نظر الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ فى زيارته أنهم يضعون زجاجات الخمر على موائد الطعام ، ولا مانع من أن يصطحب الفرد زجاجة الخمر إلى المسجد . وحينما دعوا فضيلته لطعام الغداء فى الريف ، استسمحوا فضيلته والوفد المرافق له فى أن يضعوا زجاجات الخمر على المائدة لأن هذه عادتهم ، لأنهم لا يعرفون أن الخمر محرمة .

ويضيف الأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام أنهم يحلون أكل لحم الخنزير ، كما أن الأنعام لا تذبح بطريقة شرعية .

الزواج :

تقاليد الزواج والحياة الأسرية فيها قدر كبير من الحرية ، والمرأة متحررة ولا تلتزم بأى تقاليد وقيم إسلامية .

السفير أحمد بن خليل يوضح أنه بهذه الطرق تم نزع المسلمين عن دينهم كما انتزع فى الأندلس ، وفى مناطق أخرى من إفريقيا ، وكذلك فى أندونيسيا ، وبعد ذلك يتكلمون عن حقوق الإنسان وحرية الأديان ؟.

وهكذا فى مختلف صور الحياة لا نجد التزاماً على الإطلاق بما ورد فى القرآن ونصت عليه الشريعة .

بعد هذا الغياب الطويل عن قيم ومبادىء الإسلام ، تساءل الدكتور جعفر عبدالسلام :

ـ كيف يمكن أن يعودوا إلى الالتزام بأصول عقيدتهم وشريعتهم ؟

ـ وماهى المساعدات التى يمكن أن تقدم لهم من العالم الإسلامى ، ومن الأزهر الشريف على وجه الخصوص ، فى سبيل أن يعودوا إلى الشريعة ، وتستبدل بالسلوكيات المخالفة للدين سلوكيات تتفق مع الشريعة الإسلامية ؟.

ـ المبحث الثانى ـ

استراتيجيات التعاون بين مسلمى آسيا الوسطى والقوقاز والعالم الإسلامى

يرى الدكتور عبدالفتاح الشيخ أن الأمر جد خطير ، وإذا ترك هؤلاء سيستمرون على ماهم عليه ، بل هناك أيد خفية تعمل وبقوة على تنصير الشباب المسلم وتقدم لهم كل وسائل الإغراء . وتعليم هؤلاء فرض عين وليس فرض كفاية .

ويقترح فضيلته أن خير وسيلة لتعليم هؤلاء هو أن تتضامن الدول الإسلامية فى توفير الإمكانيات المادية من الدول القادرة مادياً ، وتوفير العلماء الذين يقومون بهذه الرسالة من الدول الغنية بعلمائها . أما أن نعمل كل دولة بمفردها فإن ذلك لن يجدى .

ومن وجهة نظر اللواء دكتور فوزى طايل(*) أن المسلمين حكومات وشعوبا قصرت فى متابعة وتحليل الأحداث العالمية من منظور إسلامى واع ؛ الأمر الذى أدى إلى أننا فوجئنا بتفكك الاتحاد السوفيتى ومع المفاجأة يكون دائماً الارتجال والعشوائية .

والحركة السليمة تجاه المسلمين فى الاتحاد السوفيتى تتطلب منا أربعة أمور :

(*) خبير بالشئون الاستراتيجية .

الأول : وضع رؤية مستقبلية حتى تتعامل مع المتوقع وليس من الواقع .

الثانى : أن يكون هناك فيض مستمر من المعلومات تحلل وتفسر إسلامياً .

الثالث : أن تكون هناك أهداف واضحة تتحقق فى فترة زمنية محددة .

الرابع : أن يتم حشد كل القوى المتاحة واستخدامها تحت سلطة واحدة لاتخاذ القرار ، وإجراء التنسيق اللازم بين هذه القوى ، والمتابعة المستمرة ، وتقويم الأداء ، وتصحيحه ، وبدون هذا تصبح الحركة عشوائية لاجدوى منها .

ويضيف اللواء دكتور/ فوزى طايل أن هناك ست عقبات أمام حركة الدول والشعوب الإسلامية وهى :

١ ــ أنه ضاع وقت ثمين منذ تفكك الاتحاد السوفيتى ، وحتى الآن حدث مايلى :

(أ) عودة الشيوعية فى معظم هذه الدول .

(ب) عودة الهيمنة الروسية عليها .

(جـ) تم صياغة دساتير علمانية فى هذه الدول .

(د) تم استخدام الحروف اللاتينية ، ولم يعد مجال لاستعادة الحروف العربية إلا بشق الأنفس .

(هـ) تزايد إجراءات حظر إمكانية الوصول إلى التكنولوجيا التى تمتلكها بعض هذه الدول .

٢ ـ التنافس بين تركيا وإيران ، هو تنافس بين العلمانية والإسلامية والسنة والشيعة .

٣ ـ عدم الاستقرار الموجود فى أفغانستان والتدخل الروسى الخطير : طاجيكستان فضلا عن العدوان على أذربيجان .

٤ ـ أن الولايات المتحدة قد تمكنت من وضع حركة الجمهوريات المستقلة تجاه الدول الإسلامية تحت رقابة صارمة من خلال ماتمارسه مع الحكومات من ضغوط .

٥ ـ لا يوجد المجتمع الإسلامى الجاذب ، الذى يستطيع جذب المجتمعات وليس الأفراد ، ويقترح اللواء دكتور فوزى طايل مجموعة « استراتيجيات » ...

الأولى : استراتيجية الأهداف المتوازية :

وشرطها إلغاء الخلاف المذهبى ـ فلم تعد الأمور تحتمل أعباءها ـ

وجوهر الاستراتيجية :

(أ) بناء الإنسان المسلم ـ كما بنى الرسول ـ ﷺ ـ جيل الصحابة ، جيل الرجال العظام ـ ليقود الأمة .

(ب) إعمار الأرض ، وامتلاك « التكنولوجيا » .

(جـ) دعم الدعوة الإسلامية بلسان هؤلاء القوم ، وليس لساننا لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ .

(د) الجهاد فى سبيل الله دفاعاً عن العقيدة والوطن .

الثانيـة : استراتيجيـة صلاح القـلب ، صلاح للـجسد واستقامـة للأطراف .

وجوهرها حركة ثقافية واسعة ، واعية ، رشيدة ، يقودها الأزهر وهو قادر على ذلك . وهذا يستلزم إنشاء مركز لدعم القرار وإدارة الأزمات يتبع المجلس العالمى للدعوة والإغاثة .

الثالثة : استراتيجية مبادلة التكنولوجيا بالثقافة والمال .

ويضيف سيادته قائلا إن الوقت ليس فى صالح الأمة الإسلامية ، لذا يجب أن تكون الحركة سريعة وواعية ، وإلا فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم .

كما يرى الأستاذ محمد عبدالسلام بنيعيش[*] أنه فى ضوء الظروف الدولية المعاصرة علينا أن نركز على جانبين : التربية ، والاقتصاد .

أما التربية فلإعادة الهوية الإسلامية إلى شعوب المنطقة سلوكاً ورمزاً وقيماً ومبادىء .

وأما الناحية الاقتصادية فلابد من جسور التعاون الاقتصادى بين دول العالم والجمهوريات الإسلامية ، لتبادل المنافع واستغلال الخيرات والإمكانات الموجودة فى العالم الإسلامى لخير الإنسانية . هذا فضلا عن التعاون الاقتصادى الإسلامى الأوربى فى إطار قيم ومبادىء حضارتنا الإسلامية .

(*) رئيس غرفة التجارة والصناعة الأوربية الإسلامية ببلجيكا .

المبحث الثالث :

أسس نشر الثقافة الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز

بجانب السلبيات والجوانب المظلمة التى أحدثها العهد الشيوعى فى جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز وهى كثيرة ، يرى الدكتور محمد عمارة(*) ـ أن بقاء الإسلام فى هذه البلاد هو الواقع الأكبر من كل السلبيات . ويؤكد ذلك :

١ ـ من خلال ما سمعه من الإخوة الذين درسوا فى الاتحاد السوفيتى « سابقاً » أن الإسلام عندما غُيب عند جيل الشباب ظل يمثل عصبية وهوية تميزهم من النظام الشيوعى . ومن أمثلة ذلك : بعض الشباب يريد أن يعبر عن رفضه للشيوعية ، وهو لا يعرف حرفاً من حروف العربية فكان ينظر فى القرآن « موقف تحدى » .

٢ ـ وكذلك من خلال قراءته لأعمال مؤتمر التنصير المنعقد عام ١٩٧٨م والمقدم فيه أربعون بحثاً تقريباً ، ومنها عدد من الأبحاث يتحدث عن المسيحية والإسلام فى مصر ، وإيران ، والاتحاد السوفيتى « سابقاً » ، ومن الحقائق التى وردت فيها أنه عام ١٩٦٩م كان يوجد فى جمهوريات آسيا الوسطى أكثر من خمسمائة مسجد سرى يصلى فيها الناس .

(*) الكاتب والمفكر الإسلامى .

٣ ـ وفى أسبانيا الأسر تتوارث الإسلام سراً ، والبعض منهم يصلى فى قمم الجبال بالرغم من ذهابهم إلى الكنائس ، وتقييد أسمائهم ضمن سجلات المسيحية .

ويرى سيادته أن هناك أرضية كبيرة للعمل الإسلامى .

الأسس التى يجب مراعاتها لنشر الثقافة الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز :

١ ـ لنجاح الدعوة والعمل الإسلامى فى أى بلد ، لابد أن يكون هناك تمايز فى لغة الخطاب بين خطاب النخبة ، وخطاب العامة ؛ لأنها تحتاج إلى وعى من أى داع يدعو إلى الإسلام ، فالحقيقة واحدة ، ولكن التعبير عنها يجب أن يتمايز بتمايز المخاطب .

ويرى الدكتور محمد عمارة أن هناك قضية تستطيع أن تلعب دوراً هاماً فى اجتذاب شعوب هذه البلاد إلى الإسلام ، وهو أن تكون الدعوة ، ومايقدم من دراسات إسلامية إليهم ، تستشهد بتراثهم الإسلامى والحضارى ، فمن المهم جداً أن تحدثهم عن الماتريدى ، والبخارى ، والترمذى ، والبيرونى ، وغيرهم ، وبهذا الأسلوب نقدم لهم الإسلام ، ونحبب إليهم تراثهم ، وهذا من شأنه جذبهم إلى الدعوة من ناحية ، وإحياء تراثهم وتعصبهم له من ناحية أخرى .

٢ ـ كذلك من الأساليب الفعالة لاجتذابهم ، أن تكون الدراسات المقدمة لهم فى إطار مقارن بين رؤية الإسلام ، ورؤية المادية الماركسية ، والوضعية الغربية وذلك لإبراز مزايا الإسلام ،

وحتى لا يترك الناس فى حيرة اختيار الإسلام أو المذاهب المعاصرة .

٣ ـ الفكر العلمانى سواء كان « ليبراليا » أم كان « شيوعياً » دمر العقل الإنسانى تدميراً كاملا ؛ لأنه دمر الصلة الحقيقية التى يمكن أن يتصل بها بالغيب ، إن لم يكن ينكره .

وفى إطار ذلك يرى الأستاذ يوسف كمال محمد(*) أن لا تقدم الثقافة والمعلومات الإسلامية لتلك المجتمعات فى إطار أن الغيب مسلمة من المسلمات ، بل لابد أن يبدأ معها كما بدأ الرسول ـ ﷺ ـ فى مجتمع مكة ، يُقدم لهم الغيب على أنه ضرورة ، وأنه حق ، وأنه لا وسيلة لمعرفة الغيب وبيانه ، ووضع أقدام الإنسان على سبيل الرشاد إلا بكتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ولن نستطيع توصيل الإسلام إلى قلوب هؤلاء الناس إلا عن طريق تعليمهم كيف يتعاملون مع الغيب .

٤ ـ كتب التراث تقدم قضايا الغيب على أنها مسلمات ، ولذلك يقترح الأستاذ يوسف كمال محمد أن تقدم لهم قضية الغيب أولا ، قبل أن نقدم لهم تفسير القرآن ، حتى يستطيعوا أن يتعاملوا مع القرآن ، ويصبح جزءاً من كيانهم . وكذلك تقديم كتاب شامل مبسط ، ولا نغفل أن الإسلام انتشر بتاجر صدوق ، ومعاملات طيبة ، وليس بالضرورة عالم جليل .

(*) باحث وخبير الاقتصاد الإسلامى .

وعلينا الآن أن نتحرك بسرعة ؛ لأن «الليبرالية» تقدم لهم على أنها تفسير للحياة وأنها سوف تعين النظام الذى دمرته الشيوعية بتحريمها الملكية الخاصة ، ومحاربتها للحوافز لذلك تقدم لهم الليبرالية على أنها الإصلاح الاقتصادى .

ومطلوب منا أن نقدم الأمور على حقيقتها ، وهى حقيقة الشيوعية ، وحقيقة الليبرالية ، ونقدم لهم النظام الإسلامى فى مواجهة هذا الزحف الموجود ، فنوضح لهم أن الإسلام أقر الملكية الخاصة ، وهى الوسيلة الأساسية لعمارة الأرض حيث إن حافز الملكية يفجر الطاقات ، ويشجع على الإبداع ، وفى نفس الوقت تقدم لهم الزكاة على أنها أداة تستطيع أن ترفع المعاناة عن هذه الشعوب ، وتستطيع بنظامها أن تسد ثغرة المعاناة .

٥ ــ السفير أحمد بن خليل يرى أن الإسلام انتشر فى آسيا ، وإفريقيا : وفى كل بقاع الأرض بالقدوة والفعل الحسن ، كما أن المسئولية فى الإسلام مسئولية فردية ، وكل إنسان مسئول عن الدعوة ونشر الإسلام . ويضيف سيادته أن المسلمين فى هذه المنطقة يريدون أن يروا أمامهم مثلا حياً ، والبداية فى تلك المناطق تكون فى صورة مشروعات صغيرة تكبر مع الزمن ، والمشروعات الصغيرة تشتمل على المسجد والمدرسة والمستوصف ويساهم فيها أهل الخير وبعد ذلك ستعاون الحكومات .

وهذه المشروعات تعلم اللغة العربية ، ومبادىء الدين الإسلامى

بالقدوة عن طريق الاستعانة بعلماء أفاضل ومتقين يتحدثون بلغاتهم المحلية ، على أن يكون الهدف من كل ذلك هو الدعوة إلى الله وهداية إخواننا إلى نور الإسلام .

٦ ـ تعليم أبناء آسيا الوسطى والقوقاز الإسلام تواجهه مشكلة اللغة ، ويرى الدكتور عبدالصبور شاهين أن المشكلة ذات اتجاهين :

الأول : أن يتعلموا اللغة العربية .

الثانى : أن نتعلم نحن لغتهم ، ولغات الشعوب الإسلامية ، وهى مهمة بالنسبة للدعاة لقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ فلا نستطيع تعليم هؤلاء الإسلام إلا إذا درسنا لغتهم ، ومن ثم فمهمة جامعة الأزهر أن تدخل لغات الشعوب الإسلامية فى مناهجها لكى تخرج دعاة يجيدون لغات هذه الشعوب .

الصور والظواهر السلبية التى يجب تلافيها وتجنبها :

١ ـ من السلبيات التى أشار إليها الأستاذ الدكتور عبدالفتاح الشيخ أن بعض الدعاة للأسف لا يحدثهم عن أركان الإسلام كالصلاة والزكاة والصيام والحج ، بل يحدثهم عن زيارة القبور ، وهذا شرك ، وهذا حرام ، فتترك الأولويات فى الإسلام ، ويخاض فى المختلف فيه ، وكذلك اتهام من يحملون زجاجات الخمر بعدم الإسلام ؛ لذا يرى فضيلته أن يتعامل الدعاة معهم كما تعامل

الرسول ـ ﷺ ـ بشأن تحريم الخمر بالتدريج لأن هؤلاء كانوا فى غيبة عن الإسلام تماماً .

٢ ـ لاحظ الدكتور محمد عمارة أن بعض الدعاة يكفرون الناس ، ويهاجمون التصوف ، ويرى فضيلته أن التصوف لعب دوراً هاماً فى نشر الإسلام فى إفريقيا ، وآسيا لذلك يجب أن نحترم مذاهب الشعوب الإسلامية الأخرى .

٣ ـ ومن الصور الغريبة التى رآها الدكتور شاهين فى موريتانيا ، خصومة بين مركز إسلامى ، وبين المجتمع الذى يوجد فيه هذا المركز ، فسأل المسئول عن المركز ، لماذا يخاصمك ويعارضك الناس ولا يترددون على هذا المركز ؟

فأجاب نحن نقول لهم : إن الإجازة فى المولد النبوى بدعة وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار . فرد عليه الدكتور شاهين قائلا : «إن المجتمع فى إجازة لمدة ١٢ يوماً ، فكيف تقول لهم ذلك ؟ ، وكيف تدخل المجتمع كله جهنم» ؟؟

٤ ـ الدكتور محمد عمارة يرى أن منهج الأزهر فى احتضان جميع المذاهب ، هو المنهج الوسطى ، الذى يجب أن نعيه تماماً ، ولابد من احترام مذهبية هذه البلاد ؛ لأنها ميراث هذه الشعوب .

ـ المبحث الرابع ـ

استخدام الحرف القرآنى
فى كتابة لغات شعوب آسيا الوسطى والقوقاز

كان سكان المناطق الخاضعة للحكم الروسى يستعملون الحروف العربية فى الكتابة حتى عام ١٩٢٦م ، لكنهم أجبروا على أن يستعملوا الحروف اللاتينية فى تلك السنة فى كتابة اللغة الخاصة بكل قبيلة وذلك للقضاء على الوحدة الموجودة فى تلك المناطق .

وفى عام ١٩٤٠م عادت الحكومة المركزية مرة أخرى فألغت الحروف اللاتينية وحلت محلها الحروف الروسية ، ثم تطورت لغة البلاد إلى خليط من الروسية والتركية ، وكان نتيجة لذلك أن السكان صاروا يتكلمون لهجات متباينة بحيث لا يفهم بعضهم بعضا . وبذلك يتحقق هدف الشيوعيين فى انقسام السكان على أنفسهم ونسيان ثقافتهم وحضارتهم الإسلامية .

وكانت أهم ملامح الخطة الثقافية للاستعمار الشيوعى مايلى :

١ ـ إلغاء الحروف العربية فى كتابة اللغة التركية فى تركستان الغربية والقوقاز .

٢ ـ تغييرها أولا بحروف لاتينية ثم بحروف كيريلية روسية .

٣ ـ إدخال المصطلحات التقنية الروسية فى اللغة التركية للشعوب التى تحتلها روسيا .

٤ ـ تقنين أبجدية وقواعد تركية خاصة بكل لهجة من لهجات الأتراك[١] .

وتم هذا بناء على قرار سياسى له أهداف تمثلت فيما يلى :

١ ـ قطع كل صلة بين تركستان والإسلام .

٢ ـ تفريق المسلمين وعدم وحدتهم باستخدام أبجدية مختلفة لكل مجموعة منهم .

٣ ـ قطع الصلات بين المسلمين فى تركستان وبين الثقافة الإسلامية .

٤ ـ منع الارتباط وقطع الصلات بين مسلمى تركستان وبين الشعوب الإسلامية المجاورة سواء فى داخل الاتحاد السوفيتى مثل « القرم » قبل ضمها إلى أوكرانيا أو خارج الاتحاد السوفيتى مثل أفغانستان[٢] .

وكانت النتيجة أن ابتعد المسلمون فى تركستان الغربية ـ آسيا الوسطى ـ والقوقاز عن تراثهم الإسلامى أولا ، وعن بعضهم البعض ثانياً ، وعن مسلمى العالم ثالثاً .

---

(١) د. محمد حرب ، المسلمون فى آسيا الوسطى والبلقان ، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى ، القاهرة : ط١ ، ١٤١٣ ـ ١٩٩٣م ، ص١٥-١٦ .

(٢) د. محمد حرب ، المرجع السابق ، ص١١ .

كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآنى المنمط :

يرجع اهتمام المسلمين باللغة العربية إلى أنها لغة القرآن ، بها نزل ودون الوحى الذى يتعبد به كل يوم أكثر من مليار من المسلمين ، وإلى أن السنة النبوية المطهرة التى أتت مفسرة وَمبينة لأحكام القرآن الكريم كانت بلسان عربى مبين ، وكان تدوينها بهذا اللسان ، فضلا عن **مصادر الثقافة الإسلامية** من تفسير وحديث وسيرة وتوحيد وفقه وأحكام وتصوف وآداب وفنون سجلت فى معظمها بهذا اللسان . ومن نافلة القول أن العربية لم تكن حكراً على العرب وحدهم فقد تجاوزت هذه اللغة الحدود القومية والجغرافية لجزيرة العرب ، وأصبحت لسان الإسلام دون منازع ، بل إن مؤلفى التراث الإسلامى والعربى ومصنفيه معظمهم من غير العرب .

ويمكن التمثيل لذلك بكتب الصحاح الستة وأئمة القراءات وأعلام المفسرين وعلماء اللغة والنحو وفطاحل الأدباء والشعراء ومشاهير الرحالة والجغرافيين ،... الخ .

ولقد كان الإسلام أسبق الحضارات والثقافات التى وفقت بين الوحدة والتنوع ، فكان إطاراً جامعاً لألوان من الشعوب والثقافات المحلية والبيئات فى بوتقة واحدة هى دين التوحيد الذى ينص على الحق فى التعدد والتباين دون أن يكون ذلك مدعاة للتفاخر والاختلاف

والتمايز ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٣) ، ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾(٤) وكان من اثار هذه الرؤية الحضارية المتفتحة والمتقدمة أن عمدت شعوب الأمة الإسلامية إلى كتابة لغتها بالحرف العربى ؛ لما فيه من وشيجة روحية تشدها إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، ولما ينطوى عليه من عروة تربط المجتمعات الإسلامية بثقافة الإسلام وعلومه وآدابه وفنونه فكتبت بها لغات الفرس والترك والبنغال وغيرها من لغات أواسط آسيا وأقصاها ، ولغات : الهوسا والفولانى والسواحيليين(٥) .

وتفيد الإحصائيات المتوفرة أن اللغات التى كتبت بالحرف القرآنى تربو فى جملتها على الستين لغة نصفها يوجد فى القارة الإفريقية ، ومن أهم هذه اللغات الإفريقية الهوسا والفولانى والماندنكة والسونتكى فى غرب إفريقيا ، والسواحيلية والقمرية والصومالية فى إفريقيا ، والقبائلية والشلحية فى شمال إفريقيا ، إضافة إلى بعض لغات وادى النيل التى

---

(٣) سورة الحجرات : الآية ١٣ .

(٤) سورة الروم : الآية ٢٣ .

(٥) د. مصطفى أحمد على .

دور منظمة «ليسيسكو» فى كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآنى المنمط ، مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى ، جامعة الأزهر ٢٨ ـ ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ المجلد الرابع ، ص١١٩ .

كتبت بالحرف القرآنى فى النصف الأول من هذا القرن كالدنكار والشلك والنوبر والباريا[٦] .

الحرف القرآنى والمستعمر :

ثم تعرضت أمتنا فى تاريخها القريب إلى محنة الاستعمار الذى بدأ بفرض سيطرته العسكرية والسياسية على البلاد والعباد ثم عمد إلى بسط نفوذه الثقافى والفكرى وسعى إلى محو الهوية الثقافية لشعوب الأمة الإسلامية عبر وسائل متعددة لا سبيل إلى تفصيلها فى هذا المجال وإن كنا نخص بالذكر هجمته على اللغة العربية والحرف القرآنى التى كان يهدف من ورائها إلى التمكين للغاته وخلق هوة ثقافية بين الأجيال المعاصرة وبين تراثها المكتوب بهذه اللغة أو بأحرف هذه اللغة ، لما فى ذلك من وشيجة تربط بالدين وبأمجاد الماضى[٧] . وكان من جراء ذلك أن عدل بعض المسلمين عن الحرف القرآنى ، وعمد بعضهم إلى التحول إلى الحرف اللاتينى كالأتراك والسواحيليين وشعوب هوسا وفولان وغيرهم ، أو إلى الحرف الأكريليكى الروسى كما حدث للأوزبك والطاجيك والآذربيين وغيرهم من مسلمى آسيا الوسطى ، ثم تبين فيما بعد مانتج عن هذه العملية من آثار سلبية يمكن تلخيصها فيما يلى :

---

(٦) د. مصطفى أحمد على . المرجع السابق ص١١٩ .

(٧) د. مصطفى أحمد على . المرجع السابق ص١٢٠ .

ـ حدوث حواجز عملية تحول بين هذه الشعوب المسلمة وبين ثقافتها الإسلامية المتمثلة فى كتاب الله وسنة رسوله والآثار العلمية والأدبية التى دونت باللغة العربية أو بالحرف القرآنى .

ـ الحيلولة دون استمرار عملية التفاعل والتمازج التاريخية التى تمت وتطورت بين اللغة العربية واللغات الإسلامية ، ووقف أسباب التلاقح والتبادل بين العربية وأخواتها من اللغات الإسلامية فى المفردات والأوزان والتراكيب . وقد اتسعت عملية التبادل لتشمل مختلف الألوان الأدبية وشتى فنون القول .

ـ حدوث فجوة مافتئت تتسع فى التاريخ الثقافى والاجتماعى والاقتصادى والسياسى لبعض هذه الشعوب فتوقفت عملية التواصل الحضارى والثقافى بين جيل الآباء وجيل الأبناء ويتجلى ذلك فى أن ملايين المخطوطات التى تختزن تجارب هذه الشعوب وثقافتها وتاريخها ، أضحت جامدة وغير مستغلة لانقطاع خيط التواصل عبر الحرف القرآنى .

ـ حدوث حواجز نفسية تحول بين هذه الشعوب وبين التعليم الحديث الذى يستخدم فيه الحرف اللاتينى ولغات المستعمر وما يحمله من رموز ثقافية استعمارية مناقضة للهوية الإسلامية فنتج عن ذلك استفحال مشكلة الأمية بين هذه الشعوب المسلمة .

الحرف القرآنى والهوية الثقافية وقضية التنمية :

الثقافة عنصر أساسى فى التنمية الشاملة لأى مجتمع بحسبانها تعنى

بالإنسان صانع التنمية وهدفها ، وأن نمو المجتمع اقتصادياً واجتماعياً رهين بنمو الفرد ثقافياً وفكرياً . ولئن كانت هذه الحقيقة تصدق على المجتمع الإنسانى عامة فإنها تصدق بوجه خاص على المجتمعات الإسلامية التى يشكل فيها الإسلام وعاء ثقافياً وحضارياً لا يمكن تجاوزه .

ولئن كانت قضية التعليم بوجه عام ، وقضية محو الأمية بوجه خاص من القضايا المحورية التى تعنى بها قضية التنمية ، فإن معالجته لا يمكن أن تستكمل شروطها الحضارية والعلمية إلا إذا تم تناولها من خلال أبعادها الثقافية والفكرية ، وذلك بالرجوع إلى مقومات الهو وحشد كل الرموز الثقافية والروحية فى هذه المعركة ، ومن هنا يتبين أن إعادة الحرف القرآنى لكتابة اللغات الإسلامية التى كانت تكتب به ، واعتماده فى بقية اللغات الإسلامية أمر محورى فى هذه المعركة الثقافية والتعليمية التى تخوضها الشعوب الإسلامية فى الوقت الراهن .

وفى إطار أهداف المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ـ إيسيسكو ـ اضطلعت المنظمة ببرنامج يهدف إلى تنميط استعمال الحرف القرآنى فى كتابة لغات الشعوب الإسلامية ، وذلك عن طريق تكييف الحرف القرآنى واستخدامه فى كتابة تلك اللغات بغية تمكينها من الخروج من العزلة واجتياز الحواجز المضروبة على الصعيد المحلى والصعيد الدولى وتمكينها من فتح المجال أمام ثقافاتها المكتوبة والشفوية حتى يتعرف إليها العالم عن طريق المنشورات المطبوعة من صحف ومجلات وكتب ومراجع[8] .

(٨) د. مصطفى أحمد على . المرجع السابق ص١٢٠ ـ ١٢١ .

يتم تحديد أهداف هذا البرنامج فيما يلى :

ـ صقل الحرف العربى وتطويره صوتياً وتقنياً ، وتطويعه لكتابة لغات الشعوب الإسلامية المتعددة بطريقة علمية متقنة .

ـ المحافظة على التراث الحضارى للشعوب الإسلامية ، وتنمية لغاتها وثقافتها حتى تتمكن من مسايرة حضارة الثورة العلمية والتكنولوجية ، وتطوير الاتصالات والمواصلات .

ـ ربط لغات الشعوب الإسلامية بعضها ببعض من خلال اتخاذها لحرف واحد هو الحرف القرآنى ، وربطها من ثم بلغة القرآن العربية وتهيئة وسائل التبادل بينها كلها .

ـ تقليص نفوذ اللغات الأجنبية الدخيلة على الشعوب الإسلامية وتخليصها تدريجياً من الهيمنة السياسية والثقافية والاقتصادية الأجنبية .

ـ محو الأمية التى تضرب بأطنابها فى الشعوب الإسلامية من خلال تطوير لغاتها وكتابتها وفق المنظور الثقافى المتسق مع دواعى الهوية والذاتية ، ووفق المنهج التربوى القائم على أساس استخدام اللغة الوطنية فى عملية التعلم بحسبانها أنجع الوسائل ، وأقصر السبل للوصول إلى هذا الغرض وأقلها تكلفة(٩) .

مشروع الحرف القرآنى والجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى :

شاركت المنظمة الإسلامية فى الاجتماع الذى نظمه البنك الإسلامى للتنمية فى مقره بمدينة جدة فى مارس ١٩٩٢م ، وقدمت

(٩) د. مصطفى أحمد على . مرجع سابق ، ص١٢٥ـ١٢٦ .

المنظمة الإسلامية فى هذا الاجتماع تصوراً يشتمل على خمسة محاور فى هذا الشأن[10] :

١ ـ حصر المحاولات السابقة .

٢ ـ وضع الحروف .

٣ ـ توحيد الحروف وتنميطها .

٤ ـ صنع الآلات .

٥ ـ إعداد الكتب والقواميس .

وكان من ضمن التوصيات والمقررات التى خرج بها الاجتماع التوصية الداعية إلى دعم مشروعات استعمال الحرف العربى لكتابة اللغات القومية فى المجتمعات ، والجمهوريات الإسلامية فى الاتحاد السوفيتى سابقا ، وكان من ضمن توصيات المؤتمر الإسلامى لوزراء الخارجية الذى انعقد فى كراتشى فى إبريل ١٩٩٣م الدعوة إلى توسيع مشروع كتابة لغات الشعوب الإسلامية بالحرف القرآنى ليشمل بقية البلاد الإسلامية .

كما أوصى مؤتمر المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز : الماضى والحاضر والمستقبل والذى عقد فى رحاب جامعة الأزهر فى شهر ربيع الآخر ١٤١٤هـ ـ سبتمبر ١٩٩٣م بإعادة استخدام الحرف القرآنى فى كتابة لغات شعوب آسيا الوسطى والقوقاز .

---

(١٠) د. مصطفى أحمد على . نفس المرجع ، ص١٢٧ .

ـ المبحث الخامس ـ

الإعلام ودوره فى نشر الثقافة الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز

وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية لها دور فعال فى تحقيق الاتصال ، حتى غدا العالم اليوم متقاربا بفضل استخدام تكنولوجيا الاتصال ، ولأهمية تلك الوسائل نلقى الضوء عليها من حيث الواقع والمستقبل ودورها فى نشر الثقافة الإسلامية .

الصــــحف :

توزع الصحافة المركزية الروسية يومياً فى آسيا الوسطى امتداداً للوضع الذى كان سائداً فى عهد الاتحاد السوفيتى سابقا . ومن الملاحظ أن هذه الصحافة المركزية كانت تستخدم مطبعتين كبيرتين إحداهما فى موسكو والأخرى فى طشقند . وأخيراً استغنى عن الطباعة فى طشقند توفيراً للنفقات . ويمكن الاستفاد من مطبعة طشقند فى تقديم خدمات للصحافة والنشر هذا فضلا عن صحافة إقليمية منها فى أوزبكستان جريدة أوزبكية يومية اسمها «خلق سوزى» أى «كلمة الشعب» وصحيفة أسبوعية اسمها «أزبكستان أدبياتى وصنعتى» وهى تطبع بالحروف الروسية .

لكن أيضاً توجد جريدة إسلامية تطبع بالحروف العربية والروسية معا اسمها «إسلام نورى» وهذه ينبغى تشجيعها لتستطيع تطوير نفسها ومن الممكن أن يأتى الاهتمام بها فى صورة تمكينها من نشر برامج الإذاعات الموجهة من الدول الإسلامية إلى آسيا الوسطى أو التى ستتجه إليها فى المستقبل وخاصة برامج تعليم العربية بالراديو ، ويخدم هذا اللون من التشجيع عدة أغراض فهو يوسع دائرة استخدام اللغة العربية وتعليمها ، كما أنه مصدر للمعلومات عن الإذاعات الإسلامية وبرامجها[11] .

وتوجد كذلك جريدة «إسلام مدينتى» وهى تطبع بالحروف الروسية فقط ولعله من المفيد تشجيعها على أن تستخدم الأحرف العربية .

الإذاعــــة[12] :

الجمهور فى تلك المنطقة أكثر تعرضاً لإذاعات روسيا والإذاعات المحلية . وعلى الرغم من أن تكنولوجيا الاتصال تعتبر متخلفة إذا قورنت بوسائل الاتصال فى أوربا وأمريكا ، فإن لدى الجمهور فى كل آسيا الوسطى والقوقاز فرصة للاستماع إلى إذاعة موسكو على مدى الأربع والعشرين ساعة على عدة موجات . ولكل جمهورية إذاعة محلية ،

---

(11) خالد محمد عزب ، «دور وسائل الإعلام فى التواصل الحضارى مع جمهوريات آسيا الوسطى رصد وتحليل» مؤتمر : المسلمون فى آسيا الوسطى والقوقاز ، جامعة الأزهر ٢٨ – ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣ م ، المجلد الرابع ، ص ١١٣ .

(12) خالد محمد عزب . مرجع سابق . ص ١١٤ .

والمحتوى الدينى للبراج التى تقدمها هذه الإذاعات يكاد لايكون موجوداً .

وتنبعث من أوزبكستان إذاعات موجهة إلى الخارج باللغات العربية ، والأردوية ، والبنجالية ، والفارسية والبوشتورية ، والدارية ، والهندية .

ولا يوجد الآن تشويش على الإذاعات الموجهة من الخارج ، ولذلك فهناك إمكانية للاستماع إلى صوت أمريكا والإذاعة البريطانية ، وفى بعض الأحيان إلى صوت العرب ، وإلى الإذاعة السعودية .

والفرصة الآن سانحة لتوجيه إذاعات ذات مضمون إسلامى من أكثر من دولة إسلامية ، لكن التنسيق من الأهمية بمكان لتكامل جميع الإذاعات الصادرة من الدول الإسلامية فى أداء رسالتها وبلوغ هدفها وهو إتاحة ثقافة إسلامية لهذه الشعوب ، ومن الممكن أن تقوم منظمة إذاعات الدول الإسلامية بدور المنسق بين الإذاعات .

التلفـــاز[١٣] :

أما عن التلفاز فهناك برامج مركزية ، وبرامج محلية يشاهدها الجمهور فى آسيا الوسطى والقوقاز والبرامج المركزية تذيع أفلاماً أمريكية فى بعض الأحيان ، والقناة المركزية الروسية تركز على البرامج الإخبارية .

وهناك الآن قناة تقدم برامج أمريكية من ٦ مساء إلى منتصف الليل ،

---

(١٣) خالد محمد عزب . مرجع سابق . ص ١١٥

وتعمل ٢٤ ساعة يومى السبت والأحد ، ولا تضم هذه البرامج أى محتوى إسلامى .

لكن على المستوى المحلى يشاهد الجمهور ساعة واحدة كل يوم جمعة ذات محتوى إسلامى كامل ، وهى تبدأ بتلاوة القرآن الكريم ، وتتناول تفسير القرآن الكريم ، وشرح الأحاديث النبوية إلى جانب بعض الفتاوى والأجوبة على أسئلة المشاهدين .

وهذه القناة واحدة من الفرص المتاحة أمام الدول الإسلامية لتغذيتها بالمواد المناسبة ولتوسيع مساحتها الزمنية ضمن برامج التلفاز .

الدور المأمول من وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى تجاه المنطقة :

الإعلامى الكبير الأستاذ أحمد فراج يحدد الدور المأمول من وسائل الإعلام فى العالم الإسلامى فى إطار الواقع الدولى الراهن على النحو التالى :

ـ حملات التنصير الموجهة إلى العالم الإسلامى لها مصدران أساسيان : إذاعات بروتستانتية ، وإذاعات كاثوليكية ـ ولها هدفان : أيضا الجمهور المسيحى ، والجمهور غير المسيحى ، ولها غرضان أساسيان : أولهما تثبيت العقيدة المسيحية للمسيحيين ، وثانيهما محاولة تحويل غير معتنقى المسيحية إلى إحدى المسيحيتين البروتستانتينية أو الكاثوليكية ، وهى أيضا موجهة إلى اتجاهين العامة والخاصة وهم القادة ، ولكل منهم وسيلة .

أما فيما يتعلق بآسيا الوسطى والقوقاز ، فالدراسات التى أتيحت لسيادته كشفت إحداها أن أوربا كانت قلقة على خمسين مليون مسلم

سوف يعيشون بغير إيمان بالمسيح ؛ لهذا كانت الدعوة للنصارى بأن يدفع كل منهم خمسة دولارات لمساعدة هؤلاء البؤساء الذين يعيشون فى روسيا حتى لا يموتوا غير مؤمنين بالمسيح .

كما يقرر الأستاذ أحمد فراج أن مراكز التبشير موزعة فى العالم كله ، وتبث إذاعاتها أرسالا ، بساعات طويلة على مدى الأسبوع ، بأكثر من ثمانين لغة ، وتستهدف المسلمين فى إفريقيا ، وآسيا ، ومسلمى أوربا ، وتنفق الملايين من الدولارات ، بينما كانت جميع الدول الإسلامية ، تعتمد ميزانية أكبر منظمة إعلامية إسلامية بما يعادل ميزانية يومين من المخصص لبرامج محطة إذاعة واحدة من ضمن ١٢٥ مؤسسة ـ حاليا ـ تعمل على نشر المسيحية .

ويقترح الأستاذ أحمد فراج زيادة ساعات الإرسال الموجهة المسموعة والمرئية إلى مسلمى آسيا الوسطى والقوقاز من دول العالم الإسلامى ، كما يتمنى أن يخصص المسئولون عن الأقمار الصناعية فى العالم العربى والإسلامى ١٪ من أوقاتها لتوجه إلى المسلمين فى آسيا الوسطى والقوقاز كما يطالب سيادته بالأخذ بالمنهج الإسلامى فى مناهجنا التعليمية ، وبرامجنا ، لكى نفرض الإسلام من خلالها عقيدة وشريعة ، بما له من دور فى إثراء الحياة وتقدمها ، وليس تراثا أدى دوره وانتهى .

والاتصال من وجهة نظر سيادته يختزل كثيراً من النفقات التى نحتاجها لبناء المدارس والجامعات والمنح الدارسية ، فالاتصال يمكن أن يكون مدرسة وجامعة ويصل إلى كل مسلم فى أى مكان فى العالم ببساطة .



ثبت بحوث المؤتمر وأسماء الباحثين
من ١١ إلى ١٣ من ربيع الآخر سنة ١٤١٤هـ
الموافق من ٢٨ إلى ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٩٣م

الإثراء الاقتصادى والحضارى المتوقع لجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز .
أ . د إبراهيم سليمان عيسى .

أتراك أذربيجان والاحتلال الروسى .
د . أحمد الهوارى .

الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر وانتشار الإسلام هناك .
د . أحمد تونى عبد اللطيف .

الحضارة الإسلامية فى بلدان آسيا الوسطى والقوقاز ودور علمائها فى تأسيس مناهج البحث العلمى .
أ . د . أحمد فؤاد باشا .

أحوال المسلمين فى بلاد التتر من منتصف القرن السادس عشر إلى أيامنا هذه .
أ . د . آرثر سعد بيف .

ـ الجمهوريات الإسلامية المستقلة: ماض مجيد ، وحاضر قلق ، ومستقبل غامض .

أ. السيد عبد الرءوف .

ـ التوسع الروسى فى خانات آسيا الوسطى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

د . إلهام محمد على ذهنى .

ـ الجمهوريات الإسلامية ودورها فى النظام الإسلامى الدولى الجديد .

أ . أمين ساعاتى .

ـ نادر شاه ومسلمى آسيا الوسطى .

د . أمين مسلم محمد نعيم .

ـ الإسلام على نهر الفولجا .

أ . د أنس خالدوف .

ـ تحول المسلمين فى آسيا الوسطى إلى منهج العسكرية الإسلامية فى بناء قدراتهم الدفاعية ــ ضرورة حيوية .

لواء أ ح.جمال الدين محفوظ .

ـ عمائر تيمور لنك الدينية والجنائزية فى سمرقند .

د . حجاجى إبراهيم محمد .

د . محمد محمد الجهينى .

ـ نشأة الخط القرآنى وانتشاره على آثار آسيا الوسطى .

أ . د.حسن الباشا .

- صراع بين الضلالة والهدى فى التركستان .
أ . د . حسين مجيب المصرى .

- الظروف الاجتماعية والاقتصادية لجمهوريات آسيا الوسطى؛مقارنة ببعض الدول الإسلامية .
د . حشمت بشـــار .

- دور وسائل الإعلام فى التواصل الحضارى مع جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز .
أ.خالد عزب .

- جمهورية طاجيكستان الإسلامية ماضيها وحاضرها .
د . خليل عبد المجيد زيادة .

- تأثير المتغيرات الدولية فى التسعينيات على سياسة الطاقة فى آسيا الوسطى .
د . رجاء عز الدين .

- نماذج من المشكلات العرقية فى طاجيكستان الإسلامية .
أ . د رجاء ياقوت صالح .

- أثر النظام الشيوعى على اقتصاديات الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز .
أ . د رمضـــان أختر .

- أبو النصر مبشر الطرازى وكتابه: الجندية فى الإسلام .
د. زكية عبد الحميد الشربينى .

- الأهمية الاقتصادية للجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى فى الاتحاد السوفيتى سابقا .
د . زينب صالح الأشوح .

- آسيـــا الوسطى .
أ . د سلوى عبد الحميد عبد اللطيف .

- محمود الكشغرى وكتابه: ديوان لغات الترك .
د. سنية محمد مصطفى .

- أضواء على بعض نقود الدولة فى بخارى .
أ.د. سهام محمد المهدى .

- الأوضاع الاقتصادية لجمهوريات قرغيزستـــان طاجيكستـــان تركمانستان أوزبكستان الإسلامية .
د . سهير حسن عبد العال .

- النظم النقدية الحالية فى دول الاتحاد السوفيتى السابق وتوقعات المستقبل .
أ سيد عيسى .

- لمحات من تاريخ العلاقات بين الدولة العثمانية وممالك آسيا الوسطى والقوقاز .
د . سيد محمد السيد .

ـ المقاومة الشعبية التركستانية وصورتها فى الأدب الأوزبكى الحديث .
أ .د . شيرين عبد النعيم حسنين .

ـ مصر والكومنولث .
د . طه عبد العليم .

ـ من المشكلات التاريخية والحضارية لمسلمى آسيا الوسطى :
ا . د . عبد الحليم عويس .

ـ شخصية إسلامية من آسيا الوسطى « على سير نوائى » .
أ . د عبد السلام عبد العزيز فهمى .

ـ الفتح الإسلامى لبلاد ما وراء النهر .
أ . د . عبد الشافى محمد عبد اللطيف .

ـ دراسة أنثروبولوجية وتاريخية للتركمان فى آسيا الوسطى الإسلامية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .
د . عبد العزيز محمد عوض الله .

ـ بخارى تحترق « رواية الأديب التركى المعاصر » ياوز بهادر أوغلى » دراسة تحليلية .
د . عبد العزيز محمد عوض الله .

ـ من علماء بلاد ما وراء النهر « أبو الريحان البيرونى » .
ا د . عبد العزيز مصطفى بقوش .

ـ فخر خوارزم « الزمخشرى » .
أ . د عبد الفتاح لاشين .

ـ الخطيب القزوينى وكتابه « الإيضاح » .
أ . د . عبد القادر حسين .

ـ من علماء الإسلام فى تركستان « الشيخ الطرازى » .
أ . د . عبد الله مبشر الطرازى .

ـ المشكلات التعليمية لمسلمى آسيا الوسطى والقوقاز .
أ . د . عبد المحسن الداود .

ـ الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى .
أ . د . عبد المنعم البدراوى .

ـ الدور الحضارى والثقافى للمسلمين المنسيين فى الجمهوريات الإسلامية بين الماضى والحاضر والمستقبل .
د . عبد الوهاب نور ولى .

ـ نهر جيحون وأثره فى الشعر الفارسى
أ . د . عفاف السيد زيدان .

ـ الإمكانيات الاقتصادية والبشرية للجمهوريات الإسلامية الحديثة فى آسيا الوسطى والقوقاز .

أ . د . علاء الدين مصطفى القونى .

ـ الإمام البخـارى .

د . على جمعة محمد .

ـ اقتصاديات الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز .

د . عمر محمد الصادق أحمد .

ـ بلاد ما وراء النهر بين الأمس والغد .

أ . د . عناية الله إبلاغ .

ـ الإسلام والأتراك الوافدون من آسيا الوسطى إلى الأناضول .

أ . د فتحى عبد المعطى النكلاوى .

ـ آثار تفكك الاتحاد السوفيتى على أمن الأمة الإسلامية .

لواء أ . ح دكتور/فوزى محمد طايل .

ـ إمارة بخارى وأثرها فى التاريخ .

أ . د . فيتالى ناؤوميليكن .

ـ الآثار الإسلامية فى اسيا الوسطى والقوقاز .

ـ سلاطين المماليك والجراكسة والداغستان والكرج والقازان فى رواق الأتراك فى الجامع الأزهر بالقاهرة .

أ . د . مجاهد توفيق الجندى .

ـ المساواة كقضية إسلامية مع التطبيق على الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى .
د . محمد ابراهيم التندى .

ـ نبوءة شاعر عن اللغة الفارسية فى طاجيكستان .
أ . د . محمد السعيد جمال الدين .

ـ الفكر المعاصر فى آسيا الوسطى بين التراث الإسلامى والعلمانية .
أ . د. محمد السعيد عبد المؤمن .

ـ المساجد المبكرة فى آسيا الوسطى وأهميتها فى دراسة تطور العمارة الإسلامية .
د . محمد حمزة الحداد .

ـ مسلمو آسيا الوسطى بين محنة الحاضر وتحديات المستقبل .
ا . د محمد عبده يمانى

ـ الأثر العربى فى شعر بلاد ما وراء النهر .
أ . د . محمد محمد يونس .

ـ علماء المسلمين هل لهم من دور ؟
أ . د محمد يونس الحملاوى .

ـ الآثار الاجتماعية والاقتصادية لنهرى جيحون وسيحون .
أ.د. محمود طه أبو العلا .

ـ المسلمون والحكم الشيوعى السوفيتى .
أ . د . محمود متولى .

ـ الاحتلال الروسى للجمهوريات الإسلامية السوفيتية سابقا .
أ . د . محمود محروس قشطة .

ـ العلامة الطرازى:المجاهد التركستانى .
أ . د محمود نور الدين عبد المنعم .

ـ دور منظمة الايسسكو فى نشر الثقافة الإسلامية العربية .
د . مصطفى أحمد على .

ـ التطورات السكانية للدول الإسلامية فى آسيا الوسطى فى عقدى الثمانينيات والتسعينيات .
د . معين محمد رجب عطا .

ـ الجمهوريات الإسلامية فى رابطة الدول المستقلة ماضيها وحاضرها ومستقبلها .
أ . نصر الله مبشر الطرازى .

ـ مستقبل الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى والقوقاز وبناء نظام إقليمى إسلامى .
د . نيفين عبد الخالق .

تصـــويب الأخطـــاء التى وقعت فى الكتـــاب

الصفحة	الخطـأ	التصويب
٥	الفصلان	الفصلين
٢٧	ثمان	ثمانية
٣٧	ممثلوا	ممثلو
٤٢	مليون	مليوناً
٦٥	ذو	ذى
٦٥	دولًا	دول
٧٩	يشغلان	تشغلان
٨٩	أنواع	أنواعاً
٩٩	أفادا	أفادت
١٠٥	الشرقيين	الشرقيون
١٠٨	كثير	كثيراً
١١٢	١٦٨ هـ	٦٦٨ هـ
١١٣	١٢٢٦م	١٣٢٦م
١٤٦	تاريخ	تاريخاً
١٥٢	١٩٩٢	١٩٢٩
١٥٥	التركستانيون	التركستانيين
١٥٦	إنسانيا	إنسانى

فهــــــــرس

الموضــــــــوع | الصفحة

الفصـــــل الأول

جمهورية آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية :

الفصـــل الثـــانى

تاريخ جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز :

الفصـــل الثـــالث

الحضارة الإسلامية ببلاد ما وراء النهر

الفصـــل الرابـع

الهياكل الاقتصادية ومستقبلها فى الجمهوريات الإسلامية

الفصـــل الخامس

المستقبل السياسى لجمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز الإسلامية :

الفصـــل الســـادس

أساليب عودة الجمهوريات الإسلامية إلى تعالم الشريعة الإسلامية

